نساء الإسلام

المجاهدات في سبيل الله

21
ع ن

٦٩٦ - ١
مركز المرأة للاستشارات
ت : ٢٢٠٦٠٢٢
ت.ف : ٢٢٠٦٠٢٣
٢١٠٤٢
ق خ ن

نساء الإسلام

المجاهدات فى سبيل الله

** كانت النســاء المؤمنات أصلب وأرسخ من شمم الجبال فى ميدان الايمان.وفى بيوتهن زوجات وأمهات أخلد من التاريخ .. وفى ميادين العــلم والمعرفة أساطين وأعلاما . وفى ســاحات النضال فارسات يفقن الرجال أقداما .. **

بقلم الكاتبة الاسلامية

خديجة القمـــاح

المـــــــرأة

فى المجتمع الاسلامى الأول

لا نستطيع أن نبدأ دراسة المجتمع الاسلامى الأول • دون أن نرجع الى جذوره المكية •• حيث الجماعة الاسلامية لا تسيطر على الأرض ولا على نظام الحياة فيها ••

نرجع لنركز على أضيق الدوائر التى تعاونت مع الرسول عليه الصلاة والسلام •• وفى هذه الدائرة نركز النظر على أول من آمن بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وهنا يبرز أمامنا شخصية أمنا خديجة زوج الرســـول فعندما جاءه الوحى فى غار حراء وعاد اليها آمنت به وصدقت أنه رسول من عند الله •• وقالت له : والله لايخزيك الله أبدا • انك لتصل الرحم وتصدق الحديث •• وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ••

وتصحبه الى ابن عمها ورقة بن نوفل فيؤكد ورقة انه الوحى والرسالة وتبدو أمامنا صحيفة الاسلام الأولى ••

رجل يحمل الرسالة •• وأول من تؤمن • سيدة •• ونعود مع التاريخ الى المسيحية •• نبى كريم يتم فى المهـــد هو عيسى عليه السلام قال (انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا •• وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة

ما دمت حيا •• وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا •• والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) ••

وتكون أمه مريم أول من يؤمن به •• ومرة أخرى رجلا يحمل الرسالة وأول من تؤمن به سيدة ••

ونعود الى قصة موسى عليه السلام يقص علينا القرآن الكريم كيف رضعته أمه •• وعندما خافت عليه ألقته فى اليم تتبعه عين أخته •• حتى وصل الى يد أمه الثانية ••

امرأة فرعون ليكون كفالتها حتى يبلغ أشده ويستوى •

ونسمع قول الله تعالى : « وأوصينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين •• » •

ومرة أخرى نرى رجلا يحمل الرسالة وأول من تؤمن به سيدة آمنت به حينما آمنت بوعد الله وبشارته « انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » ••

قصة تتكرر فى النبؤات الكبرى •• فى التوراة والأنجيل والقرآن •• مع موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم تكون المرأة فيها أول المؤمنين وتقوم بدور كبير •• أما •• وزوجة ••

ولو عدنا الى الزاوية التربية والنشأة الأولى وجدنا دور آمنة بنت وهب أم نبينا محمد ومريم أم عيسى وأم موسى •• عليهم وعلى جميع الأنبياء صلاة وسلام ••

وجدنا الدور بارزا فى الرعاية والتربية كما رأيناه بارزا فى الايمان •• ثم نجد المرأة مشاركة بعد هذا فى تحمل أعباء النبوة والرسالة ونحن جميعا نعرف دور خديجة ومريم وأم موسى فى هذا المجال ••

وبرزت هذه المسئولية فى مجال الأسرة كما كانت فى مجال المجتمع الكبير ••

فى مكة

وتسرى الدعوة الاسلامية من البيت الصغير الى المجتمع الكبير تسرى بعد أن آمن البيت بمن فيه من بنين وبنات ••

لقد مات أبناء النبى الذكور صغارا وعاشت له زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ••

وآمن بنات الرسول بالاسلام وجاء مع الايمان التضحية وتحمل الايذاء •• فقبل الرسالة كانت رقية وأم كلثوم معقودا عليهما لعتبة وعتيبة ابنى « ابى لهب » عم الرسول وعندما جاء الاسلام حارب الرجل وزوجه الرسول حربا لا هوادة فيها وأخذ الرجل وزوجته يضغطان على ابنيهما ليرد ابنتى الرسول اليه حتى تشغله همومه عن هموم الدعوة الاسلامية ••

ويرى الرسول الذى سبق له أن فقد ولديه القاسم •• وعبد الله •• صغيرين كيف تعود اليه أبنتاه بكل ما كان يحمل زواجهما من أمل فى سعادة وذرية يحسها كل أب وأم ••

ويأبى أبو العاص بن الربيع .. زوج زينب .. كبرى بنات الرسول وابن خالتها هاله .. أن يطلق زوجه الحبيب .. ويقف معارضا قومه لا يلين ولكنه لم يؤمن بالاسلام بعد .. وتعيش زينب وزوجها هذه المعاناة .. بين أب تحبه وتؤمن به وزوج تحبه وتحب له الايمان الذى لم ينفتح له قلبه بعد ..

وتتزوج رقية من عثمان بن عفــان ولكن يعقب الزواج هجرة الى الحبشة واذا بالبيت النبوى وقد انشطر .. جزء فى مكة وجزء فى الحبشة .. وشاركت بعض المؤمنات فى هــذه الهجـــرة ..

وكان فى البيت من الذكور على بن أبى طالب .. ابن عم الرسول .. وهو أول من آمن به من الصبيان ووقف الى جوار الرسول فى حياته حتى لقى ربه وشارك فى المسئولية بعده .. ثم حطها على طريق الحق حتى مات من أجلها شهيدا ..

وفى البيت النبوى كان زيد بن حارثة .. ابن الرسول بالتبنى .. قبل أن يحرم الاسلام ذلك وقد اختار حياته مع الرسول وآثره على أبيه عندما جاء الأب ليعيد زيدا الى قومه.

ولم تقتصر المعاناة على الجوانب العاطفية .. فقد لقيت المرأة المسلمة من الأذى البدنى ما وصل الى التعذيب والقتل.. كما حدث مع الصحابية الجليلة سمية أم عمار بن ياسر حينما جاءتها طعنة غادرة كافرة كانت بها أول شهيدة فى الاســلام

وتحملت النساء مع الرجال والولدان مسئولية الحصار الاقتصادى ما بين العام السابع والعاشر للهجرة .. ثلاث سنوات من الجوع والعطش والحرمان عاشوها بقلوب عامرة بالايمان فوق بطون خاوية على أعواد زاوية ما خفضت الا لربها الجبين ...

فى مكة اذن رأينا المرأة مؤمنة مهاجرة مجاهدة صابرة شهيدة ...

مشاركة فى مسئولية الايمان مشاركة كاملة راضية وكما رأينا دور المرأة فى الهجرة الى الحبشة شريكة صابرة .. نراها فى الهجرة الى المدينة مشاركة فى التنظيم بالاضافة الى مسئولية الحياة فى الوطن الجديد ولقد تعاون فى الاعداد للهجرة أفراد كانوا يمثلون المجتمع الجديد كله ..

ونركز القول هنا على دور المرأة فى الهجرة ..

فى الهجرة

وفى هذا المجال يبرز اسمان .. أسماء وعائشة .. بنتا أبى بكر الصديق .. كانت اسماء حبلى متمة .. ومع هذا كانت تصعد الجبل الوعر الى الغار الذى أوى اليه الرسول وأبو بكر ثلاثة أيام تحمل اليهما طعامهما فى هدوء وكتمان لم تستطع أعين كفار قريش أن تدرك به دورها .. وكانت تعينها أختها عائشة فى اعداد الطعام ..

فكان جانب من سر الهجرة وخطتها مع أسماء •• تعرف مكان الغار وتذهب اليه بالطعــام كل يوم •• وهى فى ذات الوقت متعاونة مع أخيها عبد الله ابن أبى بكر وكان عليه أن يحمل أخبار مكة الى الغار فى تقرير يومى ومن بعدهما يمر عامر بن فهيرة مولى أبى بكر بأعتاقه لتضييع آثار أقدامه هو وعبد الله بن أبى بكر ••

فالأمر اذن لم يكن مجرد احضار الطعام •• ولكن أمر تعاون وتوقيت بين ثلاثة أفراد •• سيدة •• وشاب •• وراع ترجع أصوله الى سلالة أفريقية ••

وجاءت الهجرة معاناة قاسية فيها الايذاء والتفريق بين المرء وزوجه وولده ومصادرة التجارة والحبس والقيد ••

ونكتفى هنا بنموذجين أحدهما من أسرة النبى عليه الصلاة والسلام والثانى لسيدة كريمة شهدت هجرة الحبشة والمدينة•

ولنبدأ ببيت النبوة آخذين النموذج من قصــة زينب الكبرى ••

زينب الكبرى

كانت حياة زينب تجرى رتيبة هادئة •• زوجها أبو العاص ابن الربيع ابن خالتها •• ثم تؤمن هى بالاسلام ويبقى هو على دين قومه •• ويحاول أهله معه أن يطلقها فيأبى ويعرضون عليه من يشاء من بنات قريش فلا يعدل بزينب أحدا ••

ويهاجر البيت النبوى وتبقى هى مع زوجها فى مكة ولنا أن نتصور هذه الوحدة التى خفف منها جنين تحمله زينب وهنا على وهن ••

وتأتى غزوة بدر فى العام الثانى للهجرة •• ويخرج زوجها فى صفوف قريش مقاتلا ضد المسلمين الذين يقودهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ••

ما شعور أبى العاص بن الربيع وما شعور زينب •• وما شعور الرسول الأعظم والمحاربين معه حينما يجدون زوج بنت الرسول فى صفوف الاعداء ؟ •• وتنتهى المعركة وأبو العاص بين الاسرى ••

وتبعث زينب بفدائه •• وما الفداء ؟ أنه عقد أمها خديجة •• أيعرض العقد الغالى بين الغنائم بعد أن كان حلية جيد أم المؤمنين الأولى التى ما عدل بها الرسول أحدا ••

والتى بذلت كل ما تملك من صحة ومال فى سبيل الله ؟ •• وينظر الرسول والذين معه الى العقد •• وتهيج فى نفسه

الذكرى ويخاطب أصحابه قائلا : « أن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا » ..

ويذكرون خديجة أمهم الأولى ويعيدون العقد والأسير الى زينب ولكن .. يكلف الرسول أبا العاص أن يبعث اليه بزينب فقد نزلت آية التحريم ولم تعد زينب تحل له من بعد أن ظل على دين قومه ..

ويعود أبو العاص الى مكة ليبعث بزينب وهى حبلى الى أبيها فى المدينة ولكن ..

هل تترك مكة زينب تخرج الى أبيها بعد أن شهد ميدان بدر من شهد من قتلى قريش ؟

أتعود بنت محمد الى أبيها وفى مكة من فيها من الأرامل واليتامى والثارات ؟ .. لقد نسى القوم عدوانهم القاسى على الرسول والذين معه .. ولم يعودوا يذكرون الا ضغينة مسلمة عائدة الى أبيها .. رسول الاسلام .. لم يذكروا ألم فراقها عن زوجها ولا ألم الحمل وطول السفر .. فليخرجوا بأضغانهم لايذاء زينب وهى بطريق الهجرة .. وكان أبو العاص قد كلف كنانة بن الربيع بمرافقة زوجته .. ويفاجأ كنانة بالغدر مجسما يعترض طريقه ..

وتمتد يد « هبار بن الأسود » يردعها بالرمح وهو يذكر أخوة له ثلاثة صرعهم المسلمون فى بدر .. وتسقط زينب من

ظهر بعيرها على صخرة ينزف دمها وينثر كنانة سهامه ويتهيأ للدفاع عنها قائلا : والله لا يدنو رجل الا وضعت فيه سهما »
وتعود الى البيت مريضة قد طرحت جنينها ..

وتمضى فى مكة أياما تعود اليها فيها عافيتها ويصحبها كنانة على الطريق حتى يسلمها الى زيد بن حارثة لتتابع الرحلة الى المدينة تاركة وراءها زوجها أبا العاص على الحب والوفاء حاملة معها صغيريها عليا وأمامة ..

وفى المدينة تأبى زينب أن تتزوج وفى مكة يأبى أبو العاص أن يتزوج ..

وتمضى بعد هذا سنوات حتى يلتئم شمل الأسرة بعد أن صادر المسلمون فى العام السادس للهجرة قافلة لابى العاص بن الربيع .. فترك القافلة وسارع باللجوء الى المدينة ..

فأجارته زينب وقدمته الى أبيها .. ورد له تجـــارته بموافقة المسلمين .. فأعادها الى أصحابها بمكة وهناك فى مكة أعلن أسلامه بعد أن أبرأ ذمته .. ثم لحق بالمدينة والرسول وأهلـــــــه ..

(سيرة ابن هشام ٢ : ٤٧٧ : ٤٨٣) قصة لا تزال ترددها الأجيال فيها حياة أسرة قامت على الحب وكان الايمان فيها عامل تفريق وتجميع حتى التقى الحب والايمان فى ختام المطاف وأجد فيها تفاعل الأسرة مع المجتمع كأشد ما يكون التفاعل

والدور الايجابى البناء الذى قام به كل من أبى العاص وزينب حتى التأم الشمل ..

ثم تودع زينب دنيانا الى جوار ربها فى مطلع العام الثامن للهجرة ..

أم سـلمة

وهذه قصة أخرى عرفت طريق الهجرة الى الحبشة وتحمل أفرادها الأب والأم والولد ألم الفراق حتى جمعهم الاسلام فى المدينة ..

كانت أم سلمة عريقة الأبوين ذات جمـال وذكاء أبوها قرشى مخزومى وأمها كنانية من بنى فراس وزوجها أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن المغيرة ابن عمة الرسول .. بره بنت عبد المطلب .. وهو أخو الرسول من الرضـاعة .. أرضعتها نوبية مولدة أبى لهب .. كانت أول من هاجر من النساء الى الحبشة مع زوجها .. وهناك ولدت له أبنهما سلمة وعادت الى مكة وتحملت من أضطهاد قريش ما تحمل المسلمون فعـزم أبو سلمة على الخروج بها وبولدهما الى المدينة ..

ويراه رجال من بنى مغيرة فيقومون اليه قائلين .. هذه نفسك غلبتنا عليها .. أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟ ويلوون خطام البعير من يد أبى سـلمة .. ويأخذون أم سلمة ويغضب بنو عبد الأسد رهط أبى سـلمة

ويهوون الى الصغير سلمة قائلين :

والله لا نترك أبننا عندها اذا نزعتموها من صاحبنا ..
ويتجاذبون الغلام حتى تنخلع يده .. ويتمزق شمل الأسرة .

أبو سلمة فى طريقه الى المدينة أم سلمة حبسها أهلها بنو المغيرة .. سلمة يمضى به بنو عبد الأسد كل فرد فى الأسرة . الرجل والمرأة والغلام .. يحمل من الألم نصيبا وتخـــرج أم سلمة كل يوم تنفرد بأحزانها تبكى حتى تمسى .. وتمضى سنة أو قريبا منها .. ويمر بها رجل من بنى عمها فيرى ما بها فيرحمها ويقول لقومها بنى المغيرة ..

ألا تخرجون هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجهـــا وبين أبنها وما زال بهم حتى قالوا :

ألحقى بزوجك أن شئت .. ورد عليها بنو عبد الأســـد ولدها ورحلت بعيرها وأتخذت طريقها الى المدينة حتى لحقت بزوجها فى رفقة طيبة ..

ودخلت المدينة فكانت أول ظعينة دخلتها .. كما كانت أول مهاجرة الى الحبشة .. ولقد أبلى زوجها البلاء الحسن مجاهدا الى جوار الرسول حتى لقى ربه وأبت أم سلمة من بعده أن تتزوج من أبى بكر أو عمر ثم تزوجها الرسول عليه الصلاة والسلام فكان لها الرأى الراجح والنصح الخالص مع الرسول وبقيت من بعده .. وكانت آخر أزواجه رحيـــلا من دنيانا ..

أقف عند هذين النموذجين من النساء اللاتى شاركن فى صنع الحياة فى مكة وتابعن الجهد بعد هذا فى المدينة عاملات على مستوى الأسرة والمجتمع ومن الصفحات الدامية التى يحفظها تاريخنا فى هذا المجال ما حدث فى غزوة أحد فى العام الثالث للهجرة عندما حاولت قريش الغارة على قاعدة الاسلام فى المدينة تصدى لهم جيش الاسلام فى ظاهرها وكان للمرأة نصيب فى الدفاع عن الرسول القائد وعن المدينة .

فى هذا اليوم ركزت قريش هجومها على الرسول لقتله ووقف المؤمنون يدافعون عنه .. ولنذكر هنا دور الصحابية الجليلة أم عمارة نسيبة بنت كعب الخزرجية ..

تقول نسيبة فيما يرويه ابن اسحاق عن أم سعد بن الربيع .. ومعى سقاء فيه ماء فأنتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما أنهزم المسلمون أنحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال .. وأذود عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح الى ..

قالت أم سعد فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور ..

فقالت من أصابك بهذا ؟ .. فترد نسيبة ابن قمئة أقمأه الله (وهو محارب من قريش) لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول .. « دلونى على محمد ..

لا نجوت أن نجا » •• فأعترضت له أنا ومصعب بن عمير وكان قد ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربنى هـذه الضربة فلقد ضربته على ذلك ضربات •• ولكن عدو الله كان عليه درعان ••

وكانت أم عمارة ممن شهد بيعة العقبة ومعها أختها •• وبايعتا الرسول قبل أن يهاجر الى المدينة وظلت على أيمانها وبذلها مالها ودمها فى سبيل الله •• واشتركت بعد وفاة الرسول فى حرب الردة حتى استطاع المسلمون قتل مسيلمة فى حرب اليمامة ورجعت وبها أثنا عشر جرحا ما بين طعنة وضربة •• واستشهد ولدها حبيب فى هذه الحرب وأبى أن ينطق بكلمة الكفر بعد أن أخذه مسيلمة أسيرا وأخذ يقطع جسـمه عضوا عضوا وهو ثابت على دينه لا ينطق الا بالشهادتين ••

أمومة مجاهدة

ولقد رأينا أم عمارة نسيبة الخزرجية فى بيعة العقبة مع أختها وكان معها زوجها زيد بن عاصم ابن كعب •• وابناها حبيب وعبد الله أبناء زيد ••

ورأيناها مع أسرتها •• زوجها وولديها يدافعـون عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد •• ورأينـاها فى حروب الردة مع ولديها وقد سبق زوجها الى الله شهيدا ••

فالأسرة أبا وأما وأبناء كانت مع نبض الايمان من هذه

المشاهد جميعا •• يسبق الأب الى الله شهيدا فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ويلحق به ولده فى حروب الردة •• وتبقى أم عمارة لتحمل هذه الآلام بكل بطولة وايمان ••

والأخت الصابرة

وتقدم صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجا آخر فى الصبر والتحمل •• فى غزوة أحد تعلم أن أخاها لأبيها وأمها •• حمزة بن عبد المطلب •• لقى ربه شهيدا ومثل الاعداء به شقوا بطنه واستخرجوا كبده ••

وسجاه الرسول صلى الله عليه وسلم وصلى عليه ثم أوتى بالقتلى فوضعوا الى حمزة وصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة •• وتقبل صفية لترى أخاها الشهيد •• ويسمع الرسول بذلك فيقول لابنها الزبير بن العوام القها فأرجعها •• لا ترى ما بأخيها •• ويلقاها أبنها قائلا •• يا أمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى قالت •• ولم ؟ وقد بلغنى أنه مثل بأخى •• وذلك من الله •• فما أردنا بما كان من ذلك •• لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله •

فلما جاء ابنها الى الرسول فأخبره بذلك قال •• خلى سبيلها ••

فنظرت اليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت له ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن ••

نســـــاء الاســـــلام :

خديجة

أم الزهراء

كانت النساء المؤمنات أصلب وأرسخ
من الجبـــــال فى ميـــدان الايمان
وفى بيوتهن زوجات وأمهـــــات
أخلد من التاريخ وفى ميـادين العلم
والمعـــرفة أســـــاطين واعلاما

خديجة

أم الزهراء

أدركت سيدة النساء خديجة الكبرى أواخر عهد الجاهلية وكانت أشرف نساء قريش نسبا وأوفرهن مالا وأرجحهن عقلا وأصبحن وجها تجمع فى تلك النفس العالية كل مزية مشرفة وخصلة باهرة ..

أبوها خويلد من أشراف قريش ورجالتها البارزة وكانت تدعى فى الجاهلية بالطاهرة لطهارة سيرتها ونقاء سريرتها .. وكانت فى نضارة الشباب تحف بها أسباب الرفاهية والعز تقطن منزلا فخما وحولها العبيد والجوارى فترفعها الأنظار وترمق ما هى فيه من عز وفخار فيتكاثر حولها طلاب يدها من أعيان قريش ووجوهها فترفض كل طلب من غير أن تفضل أحدا على أحد ..

وكانت ترسل أموالها فى تجارة الى الشام فى مواسم معلومة فتشترى ما يروق لها من أمتعة الهند واليمن وسائر الأقطار لتبيعها بالربح الجزيل .. هبت عاصفة من عواصف الاضطراب فى نفس السيدة خديجة على أثر حلم رأته ذات ليلة فقد رأت فيما يراه النائم شمسا عظيمة تهبط الى منزلها من سماء مكة فيغمر ضوءها ما يحيط المنزل من أماكن وبقاع .. قامت من نومها مضطربة وسارعت نحو دار ابن عمها ورقة

بن نوفل وقد كان عالما بتأويل الأحلام وتعبير الرؤيا وما كادت تفضى اليه برؤياها حتى أخبرها ووجهه يتهلل بشرا أن تلك الأنوار علامة مجىء خاتم النبيين وزواجها منه ••

وبينما نساء قريش مجتمعات فى عيد لهن بلكعبة وكانت خديجة بين النساء فتصدى لهن أحد الاحبار مناديا ••

يا نساء قريش انه سيكون فى بلدكن نبى يقال له محمد فأيما امرأة أتيح لهـا أن تكون له زوجا فلتفعل •• فرجمته النساء بالحجارة وأغلظن له القول الا خديجة فأنها أطرقت وكأن شيئا وقع فى قلبها من تلك النبؤة الموعودة ولقد كان لكلام المنادى أثر عظيم فى قلبها ••

لمحمد بن عبد الله آمين قريش وفخر الكائنات منزلة سامية فى نفس عمه أبى طالب تفوق مكانه أولاده من صلبه فكان يجالسه ويؤاكله ويأنس به كل الأنس •

وبينما هم فى مجلس من تلك المجالس ومعها عتيقة أخت أبى طالب وعمة النبى وقد فرغوا من طعام العشاء فقام الامين الى شأن من شؤونه واذا بعمه يلتفت الى أخته يقول لها مدفوعا بعوامل الاعجاب والتقدير •• لقد شب محمد وصار رجلا وآن له أن يتأهل فماذا ترين فى ذلك •• فأجابت ••

انه فقير وخديجة غنية تتاجر بأموالها وتؤجر أناســـا يخرجون بتجارتها الى الشام فليتها تعطيه بعض المال فيتاجر به ويعمل على نمائه حتى يتوفر لديه المال •

فأستصوب العم هذا الرأى فأستدعى ابن أخيه رقال له هاهى ناقتى أهبك أياها يا محمد وليتك تتقدم الى خديجة أنها تفضلك على غيرك وترسلك مع رجال ركبها الى الشام فتؤوب الينا رابحا أما الامين فكان جوابه لعمه ..

اذا شاءت خديجة أرسلت تطلبنى فأدركت العمة من جوارهما أن محمدا لن يسعى فى الأمر بنفسه لما هو عليه من عزة النفس ولذلك عولت على أن تقوم هى بما يكفل النجاح وقد تم لها ما أرادت .. اذ أن خديجة ما كادت تسمع ما دار بين العم وابن أخيه حتى تذكرت رؤياها وداخلها السرور الخفى لا تعلم مصدره فأجابت سؤال عتيقة.وشفعت ذلك بطلب ارساله اليها وعندما توجه الامين اليها كانت فى حلة أنيقة فتحادثا طويلا ولم يخرج من عندها الا على قبول منه بالسفر ورضى منها بأعطائه ضعف ما تعطيه لغيره .

أغتبط النبى صلى الله عليه وسلم بحسن وفائها له وجميل مقابلتها ونقل الى عمه ما دار بينهما من الحديث .. فأجابه :

أبشر برزق عاجل ساقه اليك المولى ..

وكان للمقابلة الاولى بين أمين قريش وفاضلة قومها خديجة أثر كبير فى نفسها .

اشتهر النبى فى ذلك العهد بكرم الاخلاق وأدب النفس فينما سار وحينما أقبل قالوا ها هو محمد الامين ولم يكن ذلك خافيا على خديجة فقد كانت تسمع عن أدبه الجم وجماله

الرائع ولكنها فى مقابلتها الأولى له ..

وهى تحادثه وتمتلىء من مشاهدة طلعته البهية انجذبت اليه بكليتها وتبطنت أعماق قلبها بأحساسات خفية تومى اليها انها أمام شخصية بارزة وأن الرجل الماثل أمامها بنرظاته الحادة التى تأسر القلوب وتأخذ بمجامع النفس هو العظيم المنتظر خاتم الأنبياء والرسل ..

ودعت خديجة بعد ذلك عبيـــدها ومواليهـــا لتعطيهم التعليمات والأوامر بشأن ركبها المسافر للشام ..

ثم نادت على مولاها ميسرة وقد كانت تثق به ثقـــة شديدة وتركن اليه فى مسائلها الخطيرة وأوصته بالامتثال الى محمد الامين فى أوامره والنزول عند رأيه أثناء الطريق وتهيأ الركب للسفر وأعد القوم معداتهم فالتحق النبى صـــلى الله عليه وسلم بهم فى اليوم المقرر فسافروا ووجهتهم دمشق الشام وقد حدث ما أثار اعجاب القوم ذلك أنهم رأوا غمامة تظلل رأس سيد الكائنات كلما اشتدت حمأة القيظ فتجعل طريقـــه بردا وسلاما فتهامسوا فيما بينهم ..

عن سر ذلك وحكمته وهم الذين يقطعون الطريق ونيران الشمس تلفح وجوههم .. ولقد كان النبى متلطفا معهم مقبلا عليهم بجميع ما طبع عليه من رقة الشمائل وكرم الأخـــلاق فأفتتنوا به .. أما ميسرة فكان لا يدرى كيف يصنع ليجامل عزيز مولاه وعندما وصلوا فى طريقهم الى مقربة من موضـــع

يقال له سوق بصرى أنا فى الركب ليستريح •• وذهب ميسرة ليزور بعض أقاربه فى المدينة فبينما هو فى طريقه اذا براهب من تلك الجهة يدعى نسطورا أقترب منه وحياه قائلا من يكون الجالس تحت ظلال الشجرة فقال ميسرة •• هو من قريش من أهل الحرم فأجاب الراهب ••

لا ينزل تحت هذه الشجرة الا الأنبياء •• فى عينيه حمرة

— نعم ••

فهرول الراهب نحو النبى وهو يردد قوله :

— ليتنى أدرك وقت نبوته وعندما أقترب منه تأمله طويلا ثم عاين النقطة التى بين كتفيه وهى علامة النبوة ••

وعاد بعد ذلك الى صــومعته مأخوذ الفؤاد على أثر ما وقف عليه وما تحققه •• أن فتى القوم الجالس تحت ظلال الشجرة هو خاتم النبيين المنتظر ••

وانصرف النبى صلى الله عليه وسلم الى بيع ما جاء به بدراية ونشاط يعودان عليه بربح طائل فوق ما كان يرجــو ويؤمل ••

ولم تكن هذه المرة الأولى فى تجارته بل سافر قبلها مرتين فى تجارة ومعه عمه أبو طالب الا أنه لم يربح فيها قدر الذى ربحه هذه الدفعة • فسر من فوزه سرورا عظيما ••

وكانت خديجة قلقة جدا لغياب القافلة •• ولما أشتد بها

القلق قامت الى النافذة ترقب الطريق وتتأمل فيما حولها فلاحت لها فى الافق نقطة سوداء لم تتميزها فى بادىء الأمر تقرب نحو مكة ثم تبينتها جيدا فعلمت انها مطية يعلوها مسافر تقترب من دارها .

فأدركت أنه الامين ولقد لفت أنظارها وهى تتأمل قدومه غمامة تظلله مسرعة معه ولم يكن فى السماء وقتئذ سحب أخرى سوى تلك الغمامة التى لا تفارقه أينما توجه لتقيه حرارة الشمس فأثار المنظر مكامن الدهشة والاستغراب فى نفسها الطاهرة ..

ووصل اليها النبى صلى الله عليه وسلم ببشرى ربحها الجزيل فعلا ووجهها البشر والايناس وان ما شاهده ميسرة وقصه عليها آيات بينات على أنه الرجل المنتظر الذى سيرفع من شأن العصر ..

وجلست خديجة ذات يوم تغامر بحارا من التفكير والتأمل ثم انتفضت فجأة ونادت مولاتها نفيسه وقد تمكن منها الشوق الشريف كل التمكن وأخبرتها أنها سترسلها الى دار محمد ابن عبد الله فسألتها عن سبب الرسالة فأجابت :

لتعرفى هل له ميل للزواج أم لا .. فقامت على أثر ذلك تزور محمدا فى بيته .

جاءت نفيسه هذه ابن عبد الله وبعد حديث طويل قالت له :

ما يمنعك أن تتزوج •• فأعتذر لها بقلة المال اللازم للقيام بشئون الزواج فأجابته فان كفئت ودعيت الى المال والكفاءة • فلما سمع النبى ذلك أجابها ومن هذه التى تصفينها •• فاجابته هى خديجة بنت خويلد ••

فرد عليها صلى الله عليه وسلم وهل يصح مثل هذا الأمر ما عليك انك لو قبلت أعدك بأقناعها قالت له ذلك وصمتت تنظر ما سيبدو منه ولكنه ظل ساكتا لا يجيب ••

فرجعت وقد رأت منه هذا الحال تحمل الى سيدتها بشرى القبول •• لقد نزلت هذه البشرى بردا وسلاما على قلبها فسرعان ما عينت موعد العقد فى الحال •• وأرسلت نفيسة الى دار الامين ثانيا تخبره بالحضور اليها فى اليوم المعين فقبل الرسول ذلك مسرورا ••

واستأذن الرسول ذات يوم عمه فى الذهاب الى دار خديجة فأذن له ثم أرسل وراءه مولاه عتبة ليرى ماذا يفعلان وفيم يتحدثان تعقبته امتثالا لأمر مولاها وكان النبى قد وصل قبلها فأخذت السيدة خديجة يد الرسول ورجعتها على صدرها فوق قلبها الخافق ••

ثم قالت له بتأثر •• بأبى وأمى أنت أقسم أننى لا أفعل هذا لريبة أو لسوء وانما أطلب من المولى أمرا ارجو أن يتحقق وهو أن تكون نبيه المرسل واذا أختارك الله لهذا الأمر الجليل عرفت قدرى ورفعت شأنى ودعوت الى الله من أجلى ••

فكل ما أطلبه من الله أن يجعلك لى ..

فأجابها الرسول بقوله :

والذى نفس محمد بيده لا تذكرن جميل صنعك معى اذا تم لك ما تشتهين واما اذا كان رسوله المختار غـيرى فأنك تصلين الى غرضك ان شاء الله ما دمت تفعلين هذا فى سـبيل الرسول .. هذا ما دار بينها من الحديث نقلته عتبة الى مولاها ابى طالب كما سمعته ..

أقبل القوم من بنى هاشم يوم الاملاك وهو يوم العقد ومنهم كريم فتيانهم ونجيب عشيرتهم محمد بن عبد الله يحفه به عماه أبو طالب وحمزة فنزلوا من بنى عمهم أكرم منـزل وأسناه حيث قابلهم واحتفى بهم عمرو بن أسد عم السيدة خديجة .. وبعـد أن أكتمل عقد احتماعهم قام أبو طالب ابن عبد الله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما أمنا وجعلنا حكام الناس .. ثم أن أبن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وأن كان فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل وهو والله بعد له نبأ عظيم وخطر جليل وقد رغب اليكم رغبته فى كريمتكم خديجة وقد بذل من الصداقة على أمر ذلك ابن عمها ورقة بن نوفل وهو الذى فسر لها رؤياها ما عاجلة وآجلة أثنتى عشرة أوقية وعشرون درهما .. ثم قام الجليلة فقال :

الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت ففضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا ينكر العرب فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم فأشهروا على معاشر قريش انى قد زوجت خديجة بنت خويلة من محمد ابن عبد الله ..

وكان ورقة فى موقفه هذا ينطق بلسان عمرو بن أسد عم خديجة .. وهكذا صادق القوم على زواج النبى صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين السيدة خديجـــة بنت خويلد وكان الرسول جالسا بجانبها أثناء العقد فلما انتهت الصيغة طلبت اليه أن ينحر جزورا من البكرات التى أصدقها عمه أبو طالب مهرا فذبح أحداهما فى الحال وأطعم القوم .. سعادة ما لها من سعادة تلك الحياة الطيبة الصالحة التى أمضـــاها النبى الهادى فخر العالمين مع سيدة النساء خديجة ..

فكانت خديجة فى بيتها مع زوجها الجليل المثل الأعلى فى الموادة والموادعة والترفع عن الكلفة وبذل المعونة لتقوم بأداء واجباته وقضاء لوازمه وتجتهد فوق ذلك كله بكل ما أتاها الله من ذكاء وفطنة وبكل ما جبلت عليه من شفقة ورقة أن تجعل أيام حياته تمر بلذة ساحرة وأنس لا مثيل له ..

كان النبى صلى الله عليه وسلم فى نظرها شـــخصا فذ يستحق العبادة والتقديس وما كانت تشاهده فيه من درجات الكمال يزيد من قدر صفاته النادرة ومزاياه الجمة رفعة هذه

الحالة الروحية دفعتها الى بذل النفس والنفيس فى سـبيل مرضاته .. وما فيه سعادته وأن تبدد بيدها الكريمة ما قـد يتلبد فى سماء حياته من سحب الهموم والاكدار ..

لقد كان رسولنا الهادى ومرشدنا الأعظم موفور الحظ سعيد الطالع اذ رزقه الله امرأة كخديجة ذات شخصية عالية تدرك جلال قدره وعظيم استعداده ومواهبه .. فيلتذ فكرها بمعنويته وتشـاركه فى نورانيته وتملأ بمهـارتها كل جوفاء من حياته ..

قضت حياتهما المشتركة فى وئام وسلام فقضا خمسـا وعشرين ربيعا لم يعكر صفوها عتاب صغير أو نكد طفيف ..

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخص زوجته باحترام كبير فلها فى نفسه أسنى منزلة وفى مكة أسمى مكان لا يفتأ يعترف بشكرها حتى انه لم يخطر على باله طول معاشرته لها أن يتزوج سواها مع أنها كانت أكبر منه سنا وله منها صلوات الله عليه وسلم ثمانية أولاد أربعة ذكور وأربعة ذكور وأربعة أناس وهم :

القاسم — والطيب — والطاهر — وعبد الله — وزينب — ورقية — وأم كلثوم — وفاطمة الزهراء ..

عندما بلغ نبينا الهادى ومرشـدنا الكبير فخر الكائنات مرتجف الصدر يعلوه الاضطراب .. اضطراب الرجل الحائر ورسولها الخطير الأربعين من سنى حياته كان يرى الضـوء

والنور ويسمع صوت النداء ولا يرى أحدا ..

ثم صار يرى الرؤيا الصالحة فى النوم وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ولقد يئست روحه العالية من أن تجد فيما حولها ما يروى أو أراها من معرفة فاطرها الذى أشتد شوقها اليه .. بل لعلها غلب عليها ذلك الشوق حتى أصبحت زاهدة فى كل رؤية وكل سمع ولذلك رأينا محمد صلى الله عليه وسلم قد حبب اليه الخلوة والانفراد وكان (لغار حراء) الحظ من هذه الروح الحائمة على حبيبها بذكر الله ..

وتطيل التأمل والفكر .. ففى يوم من الأيام عزلته وقد تناهى صفاء قلبه بما اعتمده من الخلوة انفض ختـــام السر المكنون وانكشف الغطاء عن الأمر المصون ..

جاءه الامين جبريل برسالة من الملك الجليل فألقى عليه الآيه الأولى أقرا باسم ربك الذى خلق .. خلق الانسان من علق أقرأ وربك الأكرم .. من الكتاب المنزل ..

رجع الرسول صلى الله عليه وسلم من حراء متقع اللون وهو يقول :

زملونى .. زملونى ..

فزملته السيدة خديجـــــة حتى ذهب عنه الروع وهى مستغربة لما حدث ثم فتح عينيه الشريفتين فقال لخديجة بعد أن قص عليها الخبر ..

لقد خشيت على نفسى •• فأجابت — والله ما يخزيك الله أبدا انك تصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضعيف وتعين على نوائب الحق •• وبعد أن هدأ روعه واطمأنت نفسه أنطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل أبن عمها فقالت له خديجة •• يابن عم أسمع من ابن أخيك فقال له ورقة :

يا ابن أخى ماذا ترى ؟

أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر رأى فقال له ورقة •• أبشر يا محمد أنت خاتم الأنبياء الذى أخبر به عيسى بن مريم وهذا الناقوس الذى أنزله على موسى بالتنبى فيها جزعا (شابا) بالتنبى أكون حيا اذا يخرجك قومك وأن يدركنى يومك أنصرك نصرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ••

أومخرجى هم •• فأجاب ورقة — نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى وكان ابن عم خديجة هذا قد شبع من الأعوام وارتوى من حديث الأيام •• تعلم العبرانية وقرأ بها الأديان ورضى بدين ابن مريم عليه السلام دينا ••

وقد صدقت نبوءته وتحقق كل ما أخبره به الوحى بعد ذلك فترة طويلة بعد ورود جبريل الروح الامين فى المرة الأولى فكان النبى صلى الله عليه وسلم يعتزل فى الغار مترقبا لذلك الجسم المهيب بشوق عظيم ولكن دون جدوى فيحزن لهذا الأمر حزنا شديدا الا أن السيدة خديجة التى كانت تقرأ

صفحات قلبه وتعلم مكنونات ضميره وحالته الروحية تبذل كل ما فى وسعها لمواساته ودفعه الى الصبر والطمأنينة كانت تؤيده وتؤازره وتشرح صدره وتخفف عنه أعباء الهم والحزن تجانسه وتعاشره لتبدد عنه سحب الشك والريبة تفاكهه وتحادثه برقيق الكلام وحلو الحديث مداوات لألام نفسه تسوق اليه العظات والصبر تطمينا لخاطره ..

لقد أحبت زوجها حبا عميقا كبيرا بلغ من عمقه وخطورة شأنه انه أحاط الرسول بسياج يقيه من كل شر أو أذى فكانت لروحه ظلا ظليلا ولقلبه بردا وسلاما فلا يدع بما تراه فى هذه السيدة من الصفات التى تساعد على استقبال أمور عظيمة لانها خلقت لتكون زوج ذلك الرجل الذى سيأتيه أعظم الأمور لشد أزره وتأخذ بيده ..

أما هو فكان يقابل هذه الصداقة الخالصـــــة بأحترامها واكرامها الاكرام الجزيل ..

امتد أجل تلك الفترة الى ثلاثة أعوام مضت بين مرائر الشبهة وآلام النفس لم يتيسر للنبى الهادى رؤية جبريل عليه السلام اثناءها وانما كان يتراءى له ملك آخر هو اسرافيل بمدة بالارشاد والتعليم ..

ثم عاوده الروح مرة أخرى والنبى صلى الله عليه وسلم معتكف فى حراء غارق فى بحار التأمل والفكر وقال له :

يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن يستكثر ولربك فاصبر ..

فكانت هذه الآية الشريفة مبدءا للبعثة المحمدية وعلى أثرها تعلم الرسول الوضوء والصلاة ودعا السيدة خديجة الى الاسلام فآمنت به وكان وجهها أول وجه مبارك أشرق بنوره وكثر تردده صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الى (حراء) ونزل الآيات عليه ..

وكان كلما نزلت آية قرأها على السيدة خديجة فتثبت قلبه وروحه ونفسه وتؤيد أمره وجعل يدعو من يأتمنه من أهل مكة سرا الى أن آمن به كل أصدقائه ومحبيه ودخلوا فى زمرة الصحابة المكرمة حتى نزل قوله تعالى :

(فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) فأمتثل صلى الله عليه وسلم ما أمر به وأظهر دعوة الحق فكثر أنصاره وأشتد حنق المشركين من قريش عليه فأجمعوا الشر له وعرض عمه أبو طالب للشر دونه .. فلما رأت قريش ذلك اجتمع اشرافهم ومشوا الى أبى طالب وقالوا له .. ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل أباءنا ان تكفه عنا ..

وأما أن تخلى بيننا فأنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيه .. فقال لهم أبو طالب قولا رقيقا وردهم ردا جميلا ..

ومضى رسول الله على ما هو عليه فسرى الأمر بينهم

وبينه حتى تولدت الضغائن ثم مشوا الى أبى طالب مرة أخرى واعتذروا اليه فى أمر النبى واشتد قولهم فى ذلك فعظم على أبى طالب فراق قومه ولم يطب نفسا بخذلان النبى صلى الله عليه وسلم ثم كلم الرسول فظن صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه تركه والعجز عن نصرته فقال :

يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ..

ثم استقر رسول الله باكيا وكان أبو طالب يحب ابن أخيه حبا جما ولم يكن قد أسلم بعد فما كان يراه حزينا حتى قام اليه ولحق به يقول :

يا ابن أخى قل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشىء أبدا وأنا على قيد الحياة ..

أما خديجة رضى الله عنها فقد ضحت فى سبيل الدعـوة بكل غال ونفوذ فتؤازره وتثبت قلبه وتقوى حالته المعنـوية لتنسيه ما يلحقه من أذى المشركين كانت اذ ذاك فى الخامسة والستين من سنى حياتها وكانت أكبر مسلمات مكة شـــأنا واعلاهن نفوذا .. كانت منبع الأمل الفياض تسكب معـانى النشاط والعزيمة فى روح بعلها المبارك ولكن قد آن لهـذا المنبع الطاهر أن ينقطع عن فيضه العزيز شيئا فشيئا حتى كان فى أواخر تلك السنين العشرة الشـداد من البعثة على سرير الاحتضار شخص عزيز يرفرف روحه حائمة قضى بطيرانها

اليه وأمر الله أعلى واليه المصير ..

هذه الروح هى روح السيدة خـــديجة تلك التى كان لانتقالها الى جوار ربها وقع الصواعق فى الدار النبوى ..

تلك التى ماتت وتركت رسول الله فى حزن ووحشة ..

دفنت السيدة خديجة رضى الله عنها بالحجون فى مكة ونزل النبى صلى الله عليه وسلم فى حفرتها وقد كان وفاتها عقب موت عمه أبى طالب فأثر فيه ذلك تأثيرا شــديدا كان يشعر بفراغ كبير فى الحياة ولم يكن اذ ذاك من يستطيع أن يملأ هذا الفراغ .. كان صلى الله عليه وسلم يقول عن زوجته انها خير النساء فى الاسلام كما أن مريم خير نساء عالمهــا (وقالت السيدة عائشة) ..

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها وكان اذا ذبح الشاه يقول أرسلوا الى أصدقاء خديجة فذكرها يوما من الأيـــام فأخذتنى الغيرة فقلت هل كانت الا عجوزا بذلك الله خيرا منها فغضب ثم قال لا والله ما ابدلنى خيرا منها .. آمنت اذ كفر الناس وصدقتنى اذ كذبنى الناس وواستنى بما لها اذ حرمنى الناس ورزقنى منها الولد دون غيرها من النساء .. قالت عائشة فقلت فى نفسى لا أذكرها بعدها بسببه أبدا ..

ها هو حديث السيدة عائشة كل كلمة منه آية بينة تنطق بعظة بالغة ..

كانت تزيد عن النبى صلى الله عليه وسلم خمســة عشر سنة ولكنه مع ذلك انزلها من نفسه المكانة السامية فى الحياة وحفظ جميل ذكرها بعد الممات ...

* * *

عائشة
أم المؤمنين

للسيدة عائشة ميزة خاصة وشرف وخلال بين نساء العالم الاسلامى لم تتوفر لسواها من النساء فقد كانت أديبة لبيبة عالمة خطيبة شاعرة من افقه الناس وأحسنهم رأيا استطاعت فى فترة كبيرة من حياة الرسول الشريفة أن تدخل عليه السرور والراحة وتغمر قلبه بالغبطة فكانت أمام عينيه التمثال المجسم للسعادة ..

وهى عائشة بنت أبى بكر الصديق من أعلام قريش عزة وجاها وأحد الأربعة المقربين الى الرسول فى الاسلام .. وأمها أم رومان بنت عامر تزوجها ولما تبلغ العاشرة وذلك توثيقا لعلاقته بأبى بكر صديقه الحميم الذى صحبه فى هجرته من مكة الى يثرب أتقاء لأذى قريش يوم أشتد الكرب ..

وكانت أم المؤمنين أحب نساء الرسول اليه وكان يلقبها بالحمراء ويحبها محبة أكيـــدة وكان من دواعى سروره أن يرضيها ويعمل ما فيه سرورها حتى توثقت محبته لها ..

وازدادت مكانتها فى قلبه الطاهر .. قال لها الرسول ذات يوم وهو جالس عندها :

اننى أعلم وقت غضبك من حيث تتولين اذا تحلفين ورب ابراهيم .. أما اذا كنت راضية عني فتحلفين برب محمد .. فأجابت اننى يا رسول الله اذا غضبت أغفلت اسمك فأما حبى لك فلا يتغير ..

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقضى أكثر أوقاته بجانب زوجته المحبوبة عائشة ..

وكان الوحى ينزل عليه وهو بجانبها فلذلك كانت السيدة عائشة تشاركه فى تأثراته النبوية اذ كانت واقفة على وما نسق أحواله وحركاته وكل شأن من شئونه ..

وقد شكا زوجات النبى من تحدى المسلمين يوم عائشة بهداياهم فاجتمعن الى أم سلمة التى تقدمت بذلك الى الرسول وزوجته أن يخطر الناس بذلك فقال لها ..

لا تؤذينى فى عائشة فانه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها..لم تيأس أم سلمة من هذا الاخطار النبوى بل عادت الى تحقيق أملها وتوسلت هذه المرة بفاطمة الزهراء التى جاءت الى أبيها تخبره بذلك الا أن الرسول سألها هل تحبين من أحبه فلما ردت عليه بالايجاب قال لها اذن أحبى عائشة لقد كانت لعائشة رضى الله عنها منزلة سامية فى

نفسه حتى كان يقول لزوجه الطاهرة (ان حبه لها كالعـــروة الوثقى التى لا أنفصام لها) ..

فكانت السيدة عائشة تسأله من حين لآخر اطمئنانا على مكانة هذه المحبة فتقول له كيف حال العروة يا رســـول الله فيجيبها انها على حالها لم تتغير ولم تتبدل ..

وقد أثرت تعاليمه العالية فى نفسها الكريمة وحدث بنيانا صالحا حتى تشرب قلبها النبيل مبادىء الزهد والقناعة على أنه لا يخلو بيت من حدوث هنات طارئة تعكر جوه ثم يعود الى صفائه وقد وقع من الرسول وعائشة حادثين عكرا صـــفو حياتهما قليلا ثم عادت الأمور الى مجراها الطبيعى .. أول هذين الحادثين هو ما عرف بحديث الأفلاك وخلاصته أن فى غزوة بنى المسطلق تركت عائشة هودجها باحثة عن عقـــدها الذى فقدته ..

ولما عادت كانت القافلة قد رحلت دون أن يشعر الركب بتخلفها وظلت عائشة وحيدة فى ذلك الطريق المقفر ..

حتى وجدها صفوان بن الموصل وأوصلها الى منزلها الا أن حاسدات عائشة وأعداء النبى أختلقوا اشاعات غير بريئة حول ذلك الحادث العارض وتأذى النبى وجاق زوجته عائشة الى أن أوحى له الله ببراءتها ونزلت الآية الكريمة (ان الذين جاءوا بالأفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم

لكل امرىء منهم اكتسب من الأثم والذى كره منهم له عذاب عظيم) .. ثم نزلت آية أخرى تدافع عن المحصنات قال تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فأجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) وهكذا عاد الصفاء بين الزوجين والحادث الثانى كان سببه غيرة نساء النبى اللاتى تنزعهن عائشة من مأربه حينما انجبت للرسول ابنه ابراهيم .. وكان جميع أزواجه بعد خديجة لم ينجبن له جاء عليه السلام الى عائشة يوما يعرض عليها فرحا وجه ابراهيم ولكن عائشة ذكرت انه لا يوجد شبه بينه وبين أبيه ولما حدثها عن نمو ابراهيم السريع ردت عليه بأن نموه بطىء بالنسبة الى غيره من الأطفال وأكثر من ذلك أن عائشة اجتمعت بنساء الرسول وطلبت منه النفقة رغم علمهن بفقره وتطور الأمر حتى قاطعهن الرسول نحو شهر ثم قدمت عائشة وبقية أزواج النبى ونزل قوله تعالى (يا أيها النبى قل لأزواجك أن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن مسرحا جميلا وان ينتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان اللهأعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) ..

وبدأ الرسول بعائشة وبلغها الآية الكريمة وعرض عليها أن تستشير أبويها فى الأمر ولكن عائشة ردت قائلة أمثلك يا رسول الله أستشير أبواى بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وهكذا انقضى هذا الحادث أيضا وعادت المودة بين الزوجين أقوى مما كانت ..

وعرض الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يلجأ الا الى بيت عائشة وقامت بتمريضه وأولته حنانها ورعايتها وعندما فاضت روحه الطاهرة كانت رأسه فى حجر عائشة فأسندته على وسادة وخرجت ..

(أدركونى .. أدركونى) ودفن الرسول فى بيت عائشة التى طلبت محافظة على ذكرى زوجها العظيم ليعيش فى الحجرة المجاورة لحجرة قبره الكريم تزوره وتبكى فيها بكاءا مرا ..

وكانت عائشة رضى الله عنها عى جانب عظيم من الشجاعة والاقدام .. فقد حضرت واقعة بنفسها وكانت تحض الرجال وتشجعهم على الحرب كانت عائشة قد خرجت من المدينة الى مكة ليالى حوصر عثمان بن عفان ثم رجعت من مكة الى المدينة تلقيها فى الطريق عبيد بن أبى سلمة أحد أولاد خالها فقالت له ما وراءك قال قتل عثمان قالت لماذا أضع الناس بعد .. أجاب بايعوا عليا ليت هذه انطبقت على هذه ان تم الأمر لصاحبك ثم رجعت الى مكة وهى تقول :

(قتل عثمان مظلوما والله لأطلبن بدمه) ولما رجعت الى مكة ذهبت توا الى الحجر الأسود وجمعت الناس وخطبتهم خطبة بليغة مؤثرة تقول (أيها الناس أن الغوغاء من أجل الأنصار وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا ارجل المسكين (عثمان) فقتلوه ظلما وعدوانا .. فسفكوا الدم الحرام

فىالبلد الحرام فى الشهر الحرام) وحثتهم على طلب دمه ..

فأثرت هذه الخطبة فى نفوس الكثيرين وتبعها عدد كبير من أهل البصرة حتى بلغ عدد جيشها ثلاثين ألفا مقاتل من بينهم طلبة والزبير بن العوام .. فلما بلغ ذلك أمير المؤمنــين على ابن أبى طالب قام وخطب فى الناس وأعلمهم الحال وقال انها فتنة وسأمسك الأمر فأستمسك بيدى وسار اليهم فى عشرة ألاف وألتقى بظاهر البصرة فى مكان يسمى (الخريبة) وحدث خطوب وحروب وانتهت بهزيمة جيش عائشة وقتل طلحة .. والبير بن العوام وكانت السيدة عائشة على جمل فى هــودج تراقب حركة القتال وقد ترامى جندها على الموت وسميت هذه الوقعة بواقعة الجمل وكانت خاتمة القتال سقوط الجمل بما عشية من النبال وبقيت السيدة عائشة فى الهودج حتى المساء وكان أخوها محمد بن أبى بكر من أصحاب على كرم الله وجهه وأمره أن يمضى الى أخته وينظرها هل هى سلمة أم لا .. ثم أدخلها ليلا الى البصرة فى دار عبد الله ابن خلف وظلت هناك حتى أول شهر رجب بأمر الامام على وأحسن على وفادتها غاية الاحسان وجهزها بكل ما ينبغى واذن لها بالرجوع واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات لأجل مؤانستها فى الطريق وسيرها صحبة أخيها محمد .. مكرمة وقد شيعها ولدا الامام على الحسن والحسين .. فلما كان يوم رحيلها حضر الامام وحضر الناس فقالت عائشة (يا بنى لا يعتب بعض

على بعض انه والله ما كان بينى وبين على فى القديم الا ما يكون بين المرأة واحمائها وانه على مقبتى عن الاخبار) ..

وقال على والله ما كان بينى وبينها الا ذاك وأنها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة .. ثم سارت وتبعها الامام آميـالا وتوجهت الى مكة وأقامت بها أيام الحج وأنصرفت الى المدينة.

لو أستثنينا وقعة الجمل لرأينا أن السـيدة أم المؤمنين قطعت المرحلة الطويلة من الحياة من السنة العاشرة للهجرة الى الثامنة والخمسين منها فى العبادة وتلاوة القرآن والتضرع وفى وجوه البر والمواساة ورواية الأحاديث ..

على هذا المنوال البديع سارت السيدة عائشة فى حياتها تلك الحياة التى قضتها على سبيل أعلاء كلمة الله من أجل ذلك ذلك أحبها الناس ومن أجل ذلك كان يتباهى بها أهل مكـة ويفتخر بشخصها الكريم أهل المدينة ..

وأقر علماء زمانها وفحول الرجال من معاصريها بنبوغها وتفوقها حتى ذاعت شهرتها فى الممالك والأقطار ..

صفحة حياتها الخالدة تلك الصفحة المشرقة من صفحات الاسلام انتهت وقائعها فى العام الثامن والخمسين من الهجرة وكانت وصيتها عندما وافاها القدر المحتوم أن ينزلها (ذكوان) مولاها فى قبرها ثم يعتق نظير هذه الخدمة ..

وما كانت تلك الزوج الشريفة تصعد الى بارئها حتى علا

النحيب وأشتد بكاء من فى الدار وأرسلت أم سلمة جارية لها تستوضح الأمر وما كادت تنتقل اليها بالخبر المشئوم حتى بكت ثم قالت :

كانت عائشة من أحب الناس الى الرسول بعـــد أبيها الصديق ..

وتوفيت عائشة رضى الله عنها الى رحمة الله فى الليـلة السابعة عشر من شهر رمضان المكرم عام ٥٨ هجرية ودفنت فى تلك الليلة بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة ..

قدمت السيدة عائشة خدمات جليلة وحسنات شهيرة حببها الى الأمة الاسلامية فتركت بعدها ذكرى خالدة وسمعة بية .. والسلام عليها يوم ماتت ويوم تبعث حية ..

* * *

فاطمة الزهراء

سيدة نساء العالمين

ان القلم ليتعثر غيا ومعجزة حين يعرض لتلك الفضائل الجمة المقدسة التى كمل الله بها سيدة نساء العالمين وحسبك أن يسمع قول عائشة (ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها) ولدت فاطمة الزهراء بنت رسول الله من خديجـــة الكبرى وقريش تبنى الكعبة والنبى صلوات الله عليه ابن خمس وثلاثين سنة أى قبل هجرته بسبعة عشر عاما ..

وكانت أصغر بناته وأحبهن اليه وكانت ذات خلق حسن وخلق أحسن تربت تربية عالية فى دار النبوة فنشأت نشأة صالحة وأنبتها الله نباتا حسنا ..

فكانت خير النساء وسميت فاطمة لان الله فطمها وحفظها من النار .. تزوجت السيدة فاطمة الزهراء من الامام على فى شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة النبوية ..

ولقد كانت سيدة النساء اذ ذاك فى أزهى أوقات الحياة فى التاسعة عشر من عمرها .. أما الامام على فقـد كان بلغ الحادية والعشرين كلاهما شخصيتان بارزتان يحيط بهما جلال الايمان ونور الاسلام ونور الهدى متكافئان متعادلان من كل

الوجوه بدأت حياتهما المشتركة التى امتزجت فيها الفضيلة بالمكان والجلال بالجمال على هذا الوجه من الصفاء والوفاء والاخلاص ..

عاشت فاطمة رضى الله عنها مع زوجها على كرم الله وجهه فى هناءه وانجبت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب ولم يحدث بينهما أى شىء يعكر صفو حياتهما ..

كانت رضى الله عنها ذات عقل ودراية عالية النفس تجيد الشعر وتعرف مسائل الفقه والشريعة ولها المام بالتاريخ ولم يأخذها الغرور يوما لعلو منزلها فى الاسلام ..

وكانت سلسة القياد حلوة اللسان تحب معونة الفقراء كزوجها على .. وروى عنها أحاديث نبوية كثيرة ونظمت قصائد ذات أبيات عامرة وأظهرت دراية ومهارة فى كثير من المفضلات وكانت تشابه أباها فى كلامها وتحاكيه صلى الله عليه وسلم فى مشيتها محاكات تامة تثير دهشة الناس أما محبتها لوالدها فخر الكائنات . فكانت محبة خارقة للعادة من أعماق القلب والروح ..

وكانت فاطمة الزهراء محبوبة من أهلها جميعا .. وقد تركت ذكريات حسنة فى قلب كل انسان عرفها أثناء العشرة لسنوات التى مضت من يوم زواجها حتى ساعة وفاتها ..

وكان الامام على ينفذ لها كل طلب ويعمل بكل كلمة تقولها

وكان أولادها يطيعونها ويخيرونها فى كل حين ..

كانت تحب أولادها وتعتنى بنسأهم وكانت فى صلاتها وعبادتها ومسراتها وجيرانها من أكثر السيدات أنسا فى محفل ربات الخدور .. وقد مضت حياتهما السعيدة حتى السنة الحادية عشر من الهجرة النبوية وهى تجبر القلوب الكسيرة وتعين المحتاجين وتغيث الملهوفين ..

أقبلت ذات مرة تزور الرسول صلى الله عليه وسلم وكان معه السيدة عائشة فقال مرحبا يا أبنتى ثم أجلسها عن يمينه وفى حنان أبوى أسر اليها ببضع كلمات جعلها تبكى وتضحك ولم تخبر فاطمة أحد بهذا السر رغم الحاح عائشة عليها .. ومات الرسول فتضعضعت فاطمة وجزعت وأنفظر قلبها وفاضت عيناها ..

لقد حزنت الزهراء حزنا شديدا لوفاة فخر الكائنات ودام حزنها الى أن توفاها الله فلم يظهر على وجهها امارة من السرور طول تلك المدة وهاج المؤمنون والمؤمنات لموت الرســـول وطاشت أحلامهم وسعى رجال من المهاجرين والأنصار الى سقيفة بنى ساعدة متحاوروا ويساوروا ثم بسسطوا أيديهم بالبيعة لأبى بكر خليفة عليهم ..

وبعد أيام أقبلت بنت الرسول على أول الخلفاء تلتمس مرات أبيها فى مَنزله وسهمه فى خيبر فذكرها أبو بكر أبيها اننا معشر الأنبياء لا نورث ..

فلما أحست الزهراء أن الخليفة وصاحبه عمر يحولان بينها وبين ميراثها لاثت خمارها ودخلت فى لمة من أهلها ونساء قومها على أبى بكر وحوله طائفة من المهاجرين والأنصار ..
فأتت الزهراء أنباء أجهشوا لها بالبكاء ولما سكتت وهدؤا قالت :

أبتدىء بحمد الله على ما ألهم وأنعم اتقــوا الله حق تقاته وأطيعوه فيما أمركم به فأنما يخشى الله من عباده العلماء أنا فاطمة بنت محمد أقول عودا على بدبر وما أقول هذا شططا فاسمعوا وعوا ..

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه فاعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فأن تعزوه يحدده أبى دون ابائكم واخنا أبن عمر دون رجالكم ثم أنتم الآن تزعمون ان لا أرث، أى أحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم تؤمنون أيها معاشر المســلمين ابتزازات ابى أبى أن يرث يا ابن أبى تحافة أباك ولا أرث أبى لقد جئت شيئا فريا تلقاك يوم حشرك بنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر وسوف يعلمون من يأتيه عذاب عذاب يجزيه ويحل عليه عذاب مقيم ..

فأجابها أبى بكر :

يا بنت رسول الله ما خلق الله خلقا أحب الى من رسول الله ولئن تفتقر عائشة أحب الى من أن تفتقرى أترانى أظلمك

حقك وأنت بنت رسول الله كان أبوك يقول نحن معشر الأنبياء لا نورث وما خلفناه صدقة • •

ثم تعهد لها بعد ذلك بأن يدفع لها نصيبها فى الميراث ••

فقامت من مكانها وتوجهت نحو قبر أبيها تنشده شعرا يفيض باللوعة والشكوى وعطفت عائشة أم المؤمنين على بنت رسول الله وكأنهما وحيدتان فكانتا يجلسان بذكر الرسول تنضحان مما فى قلبيهما من حنان وقربى وأن خير من يذكر الرسول بعد موته من النساء زوجته وبنته وهاجت الذكرى بأم الحسنين فبكت أمها خديجة وأختيها زينب وأم كلثوم وارتدت بخاطرها الى ما كانت تكاتم عائشة من السر الذى قاله لهـا أبوها وكأنها أحست قرب الأجل فودت أن تقضى بأمـرها لعائشة ففاضت عيناها بالدموع ثم ضحكت سنها فقالت لعائشة ••

أتذكرين يوم بكيت ثم ضحكت حينما أسر لى أبى حديثا وكنت غير بعيده ••

قالت عائشة بلهفة وعجب :

بلى يا فاطمة ••

فأجابت فاطمة :

أسر الى الرسول بأن جبريل كان يعارضه بالقرآن فى كل عام وأنه عارضه فى هذا العام مرتين ولا يرى الا أنه قد جاء أجله فبكيت جزعة فزعة ولما رآنى الرسول مروعة قال :

ألا ترضين أن تكونى أول أهل بيتى لحاقا بى فضحكت لذلك كما رأيتنى يومذاك فأكبت عليها عائشة تواســــيها وتقول لهـــا :

ما رأيت فاطمة أفضل منك غير أبيك وكانت تلك الضحكة من فاطمة الزهراء آخر ما أغرغه فمها الطاهر فقد حاقت بها طائف الأحزان بعد موت أبيها .. وجاءت مرة باكية حزينة ثم أخذت من ترابه حفنة القتها على وجهها ورفعت تشمه بطرفها وكأنها تودعه الى ميعاد قريب وطفقت تندب وتحثو على أولادها مندمعة فى شمم وضمهم بشفقة من فراقهم وتوفيت عليهـا السلام ليلة الثلاثاء فى رمضان سنة احدى عشرة للهجرة وهى بنت ثمانية وعشرين سنة ودفنت بالبقيع ليلا وصلى عليها على عليه السلام ونزل فى قبرها هو والفضل بن العباس وكم انكب على الضريح وبكى ويشق من موقفسه التراب ثم ناجاها من ورائه وناداها بحسرة كاوية يا فاطمة يا أم الحسنين ..

وكما كانت فى حياتها عظيمة كانت فى موتها عظيمة أيضا فهى أول عربية مسلمة جعل لها نعش صنعته لها أسماء بنت عميس وكانت قد رأت مثلة فى الحبشة ..

وتركت فاطمة رضى الله عنها أثرا كبيرا فى الاســـلام ويحكى أنه سميت على أسمها تلك الدولة الفاطمية العظيمة كما أن الجامع الأزهر أشتق أسمه منها أيضا ..

* * *

أبطال من النساء

هذه حياة النساء المؤمنات اللاتى عاصرن الرسول وضربن المثل الأعلى فى طاعة الله وكن فى الدولة الجديدة خير عاملات المجد والشرف ..

هن نساء مؤمنات لم يتعلمن فى جامعـة ولم يدرسن فلسفة ولم يعرفن رقصا أو موسيقى وانما تعلمن فى بيوتهن كل ما فيه خير الدنيا والآخرة ويعلمن من تعاليم الرسـول ما سما منهن فى ميادين العـز والفخـار والشرف والتضحية والجهاد الى مرتبة لا تستطيع الوصول اليها فتـاة اليوم السافرة بعلومها وفلسفتها وكان القرآن لنفوسهن خير غـذاء وكانت تعاليم الرسول لازواجهن أسطع نور ..

فعرفن بهذا وذاك سر الحياة وطريق المجد والخلود ..

أسماء

ذات النطاقين

أنبثق الفجر وأرسل بأشعته الذهبية على رمال الحجاز الصفراء والكون هادىء ساكن لا يعكر من صفوه غير تلك الحجارة المتساقطة على الكعبة كأنها المطر تشتد وطأته الحين بعد الحين والحجاج بن يوسف الثقفى واقف يرقب تلك المدينة التى أرهقها بحصارة أياما طوالا وضيق عليها الخناق فبـات سقوطها ما بين قوسين أو أدنى ..

ووقف الحجاج يديم النظر فى الأفق كأنه يقـرأ على صفحته ما خبأه له القدر فى ذلك اليوم الذى حدده جهة المدينة.

والناس فى مكة خائفين فزعين ويدعون الله أن يكشف عنهم هذه الغمة وأنه لسميع مجيب ..

الله أكبر ... الله أكبر ..

تجاوبت تلك الصحة المقدسة فى أركان القائمة فهدأت أركانها وزلزلت جوانبها وسجد أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير فى هدوء وتؤده ثم قام فأتم صلاته وجلس يدعـو الله وقد

ارتسمت على وجهه آثار الفكر العميق .. ظهر فى جبينه شحوب لا يتبينه الناظر لضعف نور المصباح المنبعث من الكوة .. قام الرجل فى سكون فتقلد سيفه وتمنطق درعه ثم اجتاز رحبه الدار حتى استقر أمام تلك العجوز الجالسة فى صدرها .. فانثنى أمامها فى خشوع وقبل يدها فى رفق ثم جلس صامتا أعتدلت المرأة فى جلستها وحاولت بعينيها المغمضتين لتتبين جبين ولدها البار ولتقرأ فى وجهه سر هذه الزيارة الباكرة ولكن هيهات .. أيبصر الأعمى تعلملت فى جلستها وزحزحت النقاب قليلا فظهر حلقة ذلك الوجه الجليل الذى طالما ابتسم له النبى صلى الله عليه وسلم وقبله أبو بكر الصديق رضى الله عنه .. وأعطى له المسلمون هيبة واجلال .. فقالت :

ما وراءك يا عبد الله ..

كل خير يا أماه ما ترين قد خزلنى القوم وخزلنى أهل بيتى وقد ألح علينا أعداؤنا بالحجارة وقد علمت أنهم سيهجمون علينا اليوم هجوما ليس بعده هجــوم .. أما أن نظفر بهم أو يظفروا بنا ..

وقد جئت أستشيرك فماذا تشـرين .. يا بنى عش كريما أو مت كريما ولا ترضى الدنيا فأن الموت لا بد فيه ..

أما سمعت .. رحمك الله ما يقوله القوم وما يدعونى اليه من الأمان .. لا يلهون بك صبيان بنى أمية يا عبد الله وأجعل

آخر يوم لك فى الحياة أكرم من أول يوم ..

أخاف ان قتلنى القوم أن يمثلوا بى .. يا بنى ما يضير الشاه سلخها بعد ذبحها فأقض على بصـيرتك واستعن بالله وأرجوا أن يكونى عزائى فيك جميلا ابن استشهدت أجلستك وان ظفرت سررت بظفرك فأذن فى حتى أودعك ..

ثم قامت وهى الروح تحت أعباء السنين المائة وأحاطت بيديها حفرة فوقعت يدها على الدرع فنفرت منه وصاحت فيه :

يا عبد الله ما هذا ؟ .. ما لبستيه يا أماه الا لأشد به متنك انه لا يشد متنى يا بنى .. أليس ثيابك مشمرة فمد يده الى الدرع فزعها وشد أسفل قميصه تحت سراويله ثم قبل يداه وخرج صامتا فا نحدرت على خد المرأة دمعتان حزينتان لقد تجلدت حتى لا يدخل فى قلبه وهنا على وهن وفضلت رغم مكانته فى قلبها أن يموت شهيدا على أن يعيش بجانبها ذليلا وأن يخسر الدنيا ونعيم الآخرة ..

ولقد فقدت ولدها وأخاه مصعبا منذ زمن قليل ولكنه مات شهيدا وشرفها الله بقتله واليوم يوشك أن تفقد الأخر مؤثرة أن يموت شريفا على أن تحتفظ به ذليلا ..

قرعت الطبول وأشتدت المعركة وكثر الهرج والمـــرج وتدفقت جموش الحجاج أفواجـا الى الكعبة وأحاطت بذلك الرجل الذى يلوح بسيفه ذات اليمين وذات اليسار فتتطاير

الرؤوس على الأجساد وتتناثر الدماء على الوجوه وصـاح صائح وسط هذه الجموع الحاشدة ..

أما تستطيعون اذ ولاكم ابن الزبير أن تأخذوه بأيديكم أو يمكنك أنت أن تأخذه بيدك أجل ..

وتقدم الرجل الى عبـد الله فضربه فقطع يده بالسيف واشتد الزحام وتكاثر القوم وأحاطوا بذلك الرجل المقدام الذى ظل يكافح بين هذا الجمع الحاشد الى أن سقط مضرجا بدمائه فى ساحة الكعبة بعد أن التهب جسده بالجراح فانحنى عليه القوم وفصلوا رأسه عن جسده وخرجوا مهللين مستبشرين ..

وصلت الرأس الى الحجاج وكان على باب ابن حليمة فما رآها حتى كبر ثلاثا فكبر وراءه القوم ونظر الى الرأس وكانت مفتوحة العينين .. هذا رجل لم يكن يعرف القتـل وما يصير اليه ولذلك فتح عينيه وفاه ..

مات عبد الله قتل عبد الله يا أماه ودخلت رملة بنت الزبير على أمها نائحة مولولة وخلفها نساء بنى هاشم يندبن أميرهن بعبارات تدمى القلوب وكل ذلك لم يحرك ساكنا من تلك المرأة الوادعة فلم تزد على أن ابتسمت ابتسامة حزينة وقالت (اللهم شرفنى بقتله) ..

بدأ الليل يلف المدينة فى ردائه الأسـود وعاد الصمت يرفرف بجناحيه على الكون فأقبل الناس فى خشوع ورهبة

على دار أم المؤمنين ودخلوا على تلك المرأة الساكنة يعزونها فى أميرهم وولدها ودخل الحجاج فأخذ مجلسه وسط القوم فسألت — من هذا ؟ فقيل لها الحجاج — فقالت : يا حجاج قتلت عبد الله ؟

بلى أنا قاتل الملحدين ..

بل أنت قاتل المؤمنين الموحدين ..

كيف رأيت ما صنعت بأبنك يا أبنة أبى بكر ..

حسبك الله فى ما صنعت به ولا ضير أن أكرمه الله على يديك فقد أهدى رأسى يحى الى بغى من قضاة بنى اسرائيل يا حجاج سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .. يخرج من بنى ثقيف رجلان .. المبين والكذاب ...فأما الكذاب فالمختار وأما المبين فأنت .. يا حجاج لقد قتلت أكرم رجل فى العرب وأول مولود فى الاسلام يا حجاج لقد أفسـدت على ولدى دنياه وفسدت عليك آخرتك ..

بلغنى انك تقول له يا ابن ذات النطاقين أنا والله ذات النطاقين أما احدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أبى بكر من الدواب وأما الآخر فنطاق المرأة التى لا تستغنى عنه ..

أما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن فى ثقيف كذابا ومبيرا (مهلكا) فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير

فلا أخالك الا أياه من هى تلك المرأة العظيمة النفس الكريمة الخلق الثابتة الايمان انها أم المؤمنات وقدوة الامهات أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين وأخت عائشة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم ..

وفى رواية أخرى أن ذات النطاقين هى السيدة أسماء بنت أبى بكر الصديق وأخت أم المؤمنين السيدة عائشة لابيها وزوج الصحابى الزبير بن العوام وأم عبد الله بن الزبير أول مولود فى الاسلام بالمدينة بعد هجرة رسول الله اليها كانت من أعقل نساء زمانها وأنبلهن وأشجعهن وأكرمهن ..

وحينما اذن الله لرسوله فى الهجرة من مكة الى المدينة .. ذهب الى دار صاحبه أبى بكر الصديق ليبحث معه أوامر الهجرة ويخططا لها .. وكانت فى المجلس أسماء وأختها عائشة التى كانت اذ ذاك فى حوالى الثامنة .. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى بكر .. أخرج منى من عندك فقال أبو بكر وما ذاك يا رسول الله فداك أبى وأمى .. انما هما ابنتاى ..

وقد قال أبو بكر ذلك ثقة منه بتربية بناته .. ونبـــل أخلاقهن .. فحضرت أسماء وعائشة اجتماع الرسول بصاحبه وسمعنا حديثهما كله عن الهجرة وقرارهما الاختفـــاء فى غار بجبل ثور ..

وفى الهجرة تجلت عبقرية أسماء .. وبدأ دورها الهام فى دعمها فكتمت هى وأختها عائشة وأخوهما عبد الله سر الهجرة

أيمانا منهم بأن البوح به فيه خطر عظيم على رسول الله .. وعلى دعوته وقد ذهب أبو جهل ومعه نفر من قريش الى دار أبى بكر .. بعد اختفاء الرسول وصاحبه .. ودق البـــاب فخرجت أسماء ..

فسألوها .. أين أبوك يا بنت أبو بكر فقالت لا أدرى ..

ويبدو أن الحـــديث بينهما وبين المشركين قد عنف .. فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطمها على وجهها لطمة أطاحت بقرطها من أذنها فتحملت أسماء اللطمة والاهانة .. بل زادت فى ايمانها الصادق وعزيمتها القوية فكانت تذهب كل ليلة بالزاد والماء الى النبى وصاحبه فى الغار .. وتقطع حوالى ثلاثة أميال مشيا فى الليل بين أسدة الصخور ..

حذره متخفية توافى رسول الله وصاحبه بقوتهما وتخبرهما أنباء قريش ولما حانت ساعة سفر الرسول وصـــاحبه حملت اليهما أسماء الزاد والماء الى الغار .. وكان عبد الله بن أريقط الدليل الذى أستأجره أبو بكر قد جاء ومعه البعيران اللذان أودعهما عند أبو بكر وبعير ثالث له .. فلما أرادت أسماء أن تربط الطعام والماء فى رحيلى المهاجرين الكريمين .. لم تجد شيئا تربطهما به ..

فحملت نطاقها (حزامها) وشقته شقين وجعت أحدهما عيصاما شدت به ازاد والماء وأنتطقت بالشق الثانى ..

فسماها رسول الله ذات النطاقين .. وكانت أســـماء قد

تزوجت من الزبير بن العوام قبل الهجرة..فلما استقر الرسول وصاحبه بالمدينة هاجرت مع زوجها .. وكانت حاملا وفى المدينة ولدت عبد الله بن الزبير .. فكان أول مولود فى الاسلام بالمدينة بعد هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ..

فسر النبى به فباركه ثم ولدت بعد عبد الله .. عروة والمنذر وعاصم والمهاجر وخديجة وأم الحسن وعائشة ..

* * *

كتابنا القادم :

عظماء الاسلام

بقلم الأستاذ

محمد على أحمد

خولة بنت الازور

أخت القائد ضرار

هى احدى عقائل العرب وبقية بنات الملوك وبيتها بيت رسخت دعائمه على القوة والمضاء فى الجاهلية والاسلام .. قتل أبواه بين يدى رسول الله دفاعا عنه وأخوها ضرار من القادة الكبار ..

أما هى فقد أوتيت من جمال الوجه ومضاء القلب ورباطة الجأش والاستبسال فى القتال .. ما لم يتح لكثير من الناس ولها مواطن غير صالحات شفت قلوبا وروعت قلوبا ..

فلما أسر ضرار بن الازور فى وقعة أجنادين سار خالد بن الوليد فى طليعة من جنده لانقاذه فبينما هو فى الطريق مر به فارس وبيده رمح لا يبين منه الحدق وهو يقذف بنفسه ويلوى على ما وراءه ..

فلما نظره خالد قال ليت شعرى من هذا الفارس ؟ وأيم الله انه لاقوى الفرسان ثم اتبعه خالد والناس من ورائه حتى أدرك جند الروم ..

فحمل عليهم وأمعن بين صفوفهم وصاح فيهم حتى زعزع كتائبهم وحطم مواكبهم ..

فلم تكن غير جولة جائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء

•• وقد قتل رجالا وجند أبطالا ثم عرض نفسه للموت ثانية •• فاخترق صفوف القوم غير مكترث وقلق المسلمون وأشفقوا عليه وظنه القوم خالدا ••

حتى اذ أقدم خالد قال له رافع بن عميرة •• من الفارس الذى تقدم أمامك فلقد بل نفسه ومهجته •• فقال خالد والله لأنا أشد انكارا واعجابا لما ظهر من خلاله وشمائله •• وبينما القوم فى حديثهم •• خرج الفارس كأنه الشهاب الثاقب والخيل تعدو فى أثره •• وكلما أقترب أحد منه الوى عليه فأنهل رمحه من صدره حتى قدم على المسلمين فأحاطوا به وناشدوه كشف أسمه ••

ورفع لثامه وناشده ذلك خالد وهو أمير القوم وقائدهم فلم يحر جوابا ••

فلما أكثر خالد أجابة وهو ملثم فقال •• أيها الأمير انى لم أعرض عنك الا حياء منك لانك أمير جليل •• وأنا من نوات الحدور وبنات الستور وأنما حملنى على ذلك انى محرقه الكبد زائدة الكمد فقال خالد :

من أنت •• قالت :

أنا خولة بنت الأزور كنت مع نساء قومى فأتانى آت بأن أخى أسير •• فركبت وفعلت ما رأيت وهنا صاح خالد فى جنده

فحملوا وحملت معهم خولة وعظم على الروم ما نزل بهم منها فانقلبوا على أعقابهم ..

وكانت تجول فى كل مكان علها تعرف أين ذهب القوم بأخيها فلم تر له أثر ولا وقفت له على خبر .. على أنها لم تزل على جهادها حتى أستنقذ لها أخوها ومن وقفتها الرائعة . موقفها يوم أسر النساء فى موقعة صحورا فقد وقفت فى النساء وكانت قد أسرت معهن . .

فأخذت تثير نخوتهن .. وتعزم نار الحمية فى قلوبهن .. ولم يكن من السلاح شيء معهن فقالت خذن أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب وأنهلوا بها على هؤلاء اللئام فلعـــل الله ينصرنا عليهم ..

فقالت عفراء بنت عفار .. والله ما دعوت الى ما هو أحب الينا مما ذكرت .. ثم تناولت كل واحدة عمودا من أعمـدة الخيام .. وصحن صيحة واحدة وألقت خولة على عاتقهـا عمودها وتتابع النساء وراءها ..

فقالت لهن خولة لا ينفك بعضكن عن بعض وكن كالحلقة الدائرة ولا تتفرقن فتملكن .. فيقع بكن التشتيت وطعن رماح القوم وأكسرن سيوفهم .. وهجمت خولة يهجم النســاء وراءها وقاتلت بهن قتال المستيئس المستميت حتى استنقذتهن

ن أيدى الروم وخرجت وهى تقول :

نحن بنـــات نبـــع وضـــمير
وضربنا فى القـــوم ليس بنكر
لأننـــا فى الحرب نـــار تسعر
اليوم تســـقون العـذاب الأكبر

* * *

كتابنا القادم :

عظماء الاسلام

بقلم الأستاذ

محمد على أحمد

زينب بنت الزهراء

السيدة زينب رضى الله عنها .. هى بنت الامام على ابن أبى طالب وفاطمة الزهراء وأخت الحسن والحسين ومن خيرة السيدات الطاهرات ومن فضليات النساء وخليلات العقائل فاقت الفوارس فى الشجاعة وأتخذت طول حياتها تقوى الله بضاعته .. وكان لسانها الرطب يذكر الله على الظالمين غضبا ولأهل الحق عينا معينا ..

ولدت رضى الله عنها سنة خمسة من الهجرة النبوية أى قبل وفاة جدها الرسول بخمس سنين ونشأت تنشأة حسنة كاملة فاضلة وكانت على جانب عظيم من العلم والحلم ومكارم الأخلاق ذات فصاحة وبلاغة .. يفيض من يدها عيون الجود والكرم حتى انها اشتهرت فى بيت النبوة ولقبت بصاحبة الشورى .. وتزوجت بأبن عمها الامام عبد الله بن جعفر ولما عزم الامام أبى عبد الله الحسين لمحاربة من طغى وتكبر بأرض كربلاء خاطرت السيدة زينب بحياتها وصاحبت أخيها الى تلك البلاد فكانت تقوم بمواساة الجرحى من أهله وتضمد جراح الابطال الزائدين عن أخيها واللذين تآزروا على نصره

وعونه وجاهدت فى سبيل الله حق الجهاد حتى أحاطه بالحسين قاتلوه وضربوا كفه اليسرى فأبانوها ثم ضربوه على عاتقه فباء وكبا واثخنته الرماح والسهام ثم حزوا رأسه فصرخت النساء والاماء من الخباء لاطمات الخدود وعقب مصرع الحسين والتمثيل بجثته صاحت زينب قائلة :

اليوم مات جدى رسول الله وأمى الزهراء وأبى على وأخى الحسين واحسباه يا بقية السابقين وثمالة الباقيين ..

هذا الحسين بالعراء مزمل بالدماء مقطع الأعضاء وأخذت تبكى حتى أغمى عليها..وسبق أهل البيت سبايا وجرحى حتى مقر (عبد الله بن زياد) ولما دخلت الكوفة أومأت الى الناس أن أسكتوا .. فكفت الباكيات وهدأت الأصوات فقالت ..

أما بعد فيا أهل الكوفة أتبكون ؟ . فلا سكنت العبرة ولا هدأت الرنة .. أنما مثلكم مثل التى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ألا ساء ما تزرون (أى والله فابكوا كثيرا وأضحكوا قليلا فقد ذهبتم بعارها وشنارها فلن ترحضوها بغل أبدا وكيف ترحضون قتل سبط خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومداء صحتكم ومنار محجتكم وهو سيد شباب أهل الجنة .. لقد أتيتم بها حرقاء شوهاء ..

أتعجبون لو أمطرت السماء دماء ألا ساء ما سولت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفى العذاب أنتم خالدون .. أتدرون أى كبد فريتم وأى دم سفكتم وأى كريمة أبرزتم لقد جئتم شيئا

اذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا وقال من سمعها :

فلم أرى والله خفرة أنطق منها كأنما تنزع عن لسان أمير المؤمنين على بن أبى طالب فلا والله ما أتمت حديثها حتى أجهش الناس بالبكاء وذهلوا وسقط ما فى أيديهم من هـــول تلك المحنة الدهماء ..

ولما قبلوا بين يدى ابن زياد سألها من تكون ؟

فلم تجب !! فأعاد السؤال وهى أيضا لا تحب احتقارا لشأنه وأجابت أحداهن ..

هذه زينب بنت الزهراء فقال ابن زياد .. الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم فأجابته (الحمد لله الذى أكرمنا نبيه صلى الله عليه وسلم وطهرنا من الرجس تطهيرا انما يفضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله .

فقال كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك فأجابت .. كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده فقال — قد شـــقى الله نفسى من طاعتيك والعصاة والردة من أهل بيتك ..

فأجابت .. بعمرى لقد قتلت كهلى وأبرت أهلى وقطعت فرعى واجتثثت أجلى فان يشفك هذا فقد أشتفيت .. فقـــال غيظا .. هذه شجاعة لقد كان أبوها شجاعا شامرا .

فأجابته .. ما للمرأة والشجاعة ؟ ان لى عن الشجاعة لشغلا وسيق الإسرى مرة أخرى الى دمشق وكشف يزيد عن رؤوس الشهداء وانثنى بقضيب فى يده بثنايا الامام الحسين .

فأنبرت له السيدة زينب وأخذت تعنفه على ما فعلـه وقالت : ..

صدق الله يا يزيد (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء ان كذبوا بأيات الله وكانوا بها يستهزؤون) ظننت يا يزيد انه حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فأصبحنا نساق كما يساق الأسارى أن نبأ هوانا على الله وان بك غلبة كرامة وتوهمت أن هذا بعظيم خطرك فشمخت بأنفك ونظرت فى عطفك جذلان فرحا حين رأيت الدنيا مستوثقة لك والأمور متسـقة عليك أن الله ان أمهلك فهو قوله (ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم . انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين) .

(أمن العدل يا ابن الطلقاء تحذيرك بناتك واماءك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم كالأسـارى قد هتكت ستورهن وأصبحت أصواتهن مكتئبات تجرى بهن الاباعـر وتحدو بهن الاعـادى من بلد الى بلد لا يراقبن ولايؤدين يتشوفهن القريب والبعيد ليس معهن قريب من رجالهن ..

أتقول ليت أشياخى ببدر شهدوا غير متأثم ولا مستعظم وأنت تنكث ثنايا أبى عبد الله بمحضرتك ولم لا وقد نكات

الفرصة وأستأصلت الشأفة بأهراقك هذه الدماء الطاهرة دماء تحوم الأرض من (آل عبد المطلب) ولتردن على الله وشيكا موردهم أو عند ذلك تود لو كنت أبكم أعمى أيزيدو الله ..

ما فريت الا فى جلدك ولا حززت الا فى لحمك وسترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم برغمك ولتجدنن عزته ولحمته من حوله فى حضرة القدس يوم يجمع الله شملهم ..

من الشعت (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) وستعلم أنت ومن بوأك ومكنك من رقاب المؤمنين اذا كان الحكم ربنا والخصم جدنا وجوارحك شاهرة عليك عليك ايناشر مكانا وأضعف جندا فلئن اتخذنا فى هذه الحياة مغنما لتجدننا عليك مغرما حين لا تجد الا ما قدمت يداك .. تستصرخ بابن مرجانة ..

عبد الله بن زياد ويستصرخ بك وتتعادى واتباعك عند الميزان ، وقد وجدت أفضل زاد تزودت به قتل ذرية محمد صلى الله عليه وسلم فوالله ما اتقيت غير الله وما شكوت الا الله فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا يرضى عنك عار ما أتيت الينا أبدا .. فأجابها يزيد والله لو كنت لهذا كارها يا بنت أخى وما أهب لكم اليوم أكثر مما أخذ منكم ..

وجهز يزيد بنات الحسين وأهله بما يصلحهم ومنحهم خيلا ومالا ثم خيرهم اما أن تقيموا على الرحب والسعة عنده بالشام أو العودة الى مدينة الرسول ..

فاختاروا حرم جدهم دار الهجرة مسكنا وَأرسل يزيد معهم رجلا أمينا صالحا يرافقهم وترفق بهم وعطف على على ابن الحسين فأكرمه واعتذر له مما حدث ..

وأن لا رادا لقضاء الله وأنه كان يتمنى رفع الأيدى عن الحسين ولو بهلاك ولده .

ورجعت السيدة زينب بعد هذه الكارثة ومن معها من أهل بيت النبوة الى المدينة المنورة وقد أخلص الرجل الذى حرسهم فى سفرهم فى خدمة هذه الطاهرة فلم يفت فاطمة بنت الحسين مكافأته على أخلاصه وقالت لعمتها زينب لقد أحسن هذا لنا فى صحبتنا فهل لك فى أن تصله فقالت لها يا كريمة السير الشهيد لم يوجد لدينا شيئا من المال نعطه له ولكن سأقدم من حلى شيئا فنزعت فاطمة السوارين وقدماه لذلك الرجل فرده وأبى أن يأخذ منها شيئا وقال انى ما قصدت من خدمتكما الا التقرب لجدكما رسول الله ..

ولما استقرب زينب ومن معها بيثرب أخذت وفود العرب تغدوا عليها بكثرة لمواساتها وهم يعبرون لها عن حزنها وحزنهم على فقد أخيها الحسين فأثار ذلك وجودهما بين قبائل العرب تأثره السخط والغضب على من كان سببا فى تلك المحن التى حلت بأهل بيت النبوة فى واقعة كربلاء ..

فشاع فى المدينة بأجمعها فكرة الأخذ بثأر الحسين ممن

قتله فعلم بذلك والى المدينة فخاف عاقبة ذلك وخشى أن تجرأ فاقتها بالمدينة الفتن والحروب ..

فخابر رجال دولته فى دمشق وذكرلهم ما وقع فى المدينة .

وان المكائد تدبر للأخذ بثأر الحسين فجـاءه الرد بأن يخير السيدة زينب فى الاقامة فى أى بلد غير الحرمين الشريفين.

فأخبرها بذلك فأختارت مصر ورحلت رضى الله عنهـا ومعها بعض أهل النبـوة من يثرب الى مصر ولما ذاع خبر قدومها خرج والى مصر وقتئذ ومعه جمع كبير من العلمـاء والكبراء لاستقبالها واستقبلوها بحفاوة عظيمة واحتـرام خافضين الرؤوس ..

ونزلت عند الوالى فى قصره (وهو مقر ضريحها الشريف الآن) وظل الامير قائما بخدمتها احدى عشر شـهرا وكانت طوال هذه المدة محبوبة ممن فى القصر بعين الاجلال والاحترام حتى صعدت روحها الطاهرة الى الملأ الأعلى وجاورت ربها البـاقى ..

وكان ذلك فى سنة ٦٢ هجرية أى انها قضت من العمـر سبعا وخمسين سنة ..

ودفنت بضريحها المشهور بالمسجد الزينبى بالقاهرة .

زينب بنت الرسول

زينب بنت رسول الله هى كبرى بناته صلى الله عليه وسلم وأولى من تزوج فيهن ٠٠ولدت قبل البعثة بعشرة سنين وزوجت من ابن خالتها أبى العاص بن الربيع فولدت له عليا وقد مات فى حياة جده صلوات الله عليه (وامامة) ٠

وكانت من أحب الناس الى رسول الله (وفى حديث ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم دخل على أهله ومعه قلادة جزع فقال لأعطينها أحبكن الى فقلن يدفعها الى ابنه أبى بكر فدعا بابنة أبى العاص فعقرها بيده) ٠٠

وعن أبى قتادة قال (٠٠٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس اذ خرج علينا رسول الله يحمل امامة بنت أبى العاص وهى صبية قال فصلى رسول الله وهى على عاتقه يضعها اذا ركع ويعيدها على عاتقه اذا قام حتى قضى صـــلاته وقد زوجت امامة من على بن أبى طالب عليه السلام بعد موت خالتها فاطمة ٠٠

وكان أبو العاص يؤثر زينب بحبـــــه وكرامته على أن الاسلام فرق بينهما فأسلمت هى وهاجرت مع أبيها وبقى هو بمكة على شركه وبعد هجرة زينب خرج أبو العاص الى الشام فى تجارة لقريش فعرض للقافلة زيد بن حارثة فى سبعين ومائة راكب أرسلهم النبى صلى الله عليه وسلم فشدوا على الحال

والرجال فلم يدعوا شيئا الا غنموه ولا رجـــلا الا أسروه وساقوا ذلك كله الى رسول الله صلى الله عليه وســلم فانه أبو العاص فقد نجا بنفسه بعد جهد ويمم شطر زوجته مستجيرا فأجارته فلما وصل النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ..

صاحت زينب بأبيها الناس أنى قد أجرت أبا العاص ابن الربيع فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس وقال هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم قال والذى نفسى بيده ما علمت بذلك حتى سمعتم ثم دخل على ابنته فقال اكرمى مثواه .. قالت أنه قد جاء فى طلب ماله فجمع رسول الله تلك السرية وقال ان هذا الرجل بنا حيث علمتم وقد أصبتم له مالا وهو مما أفاء الله عليكم به ..

وأنا أحب أن تحسنوا وتردوا عليه الذى له فان أبيتم فأنتم أحق فقالوا بل نرده عليه فردوا عليه ماله أجمع وعاد أبو العاص الى مكة حيث رد المال الى أصحابه وقص على أهل قريش ما رآه من كرم المسلمين وأنقاذهم حياته عدة مرات ثم قال لهم (أشهدوا يا معشر قريش بأننى آمنت بما جاء به محمد واستجبت لرسالته التى تأمر بالعدل والاحسان وتنهى عن المنكر والبغى والله ما صدنى عن الاسلام الا تخوف أن تظنوا بى أنى أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله اليكم أعلنتكم ايمانى بهذا الدين الجديد ..

وعادت زينب آمنة الى زوجها بعد اسلامه وعاشت فى

كنفه بين أولادهما عيشة راضية هانئة ..

وظلت على ذلك حتى دعاها الرسول لزيارته وفى طريقها الى يثرب هاجم ركبها بعض القرشين الحاقدين على أبيها ونخسها هبار بن الأسود برمحه فأهدر دمها الذكى وفاضت روحها الطاهرة الى ربها الكريم تشكو ظلم الانسان فحزن الرسول عليها وبكاها وجدد موت زينب حزن الرسول وأشفق المؤمنين من حزن نبيهم وأقسموا بالله لئن أمسكو بذلك المعتدى الأثيم ليقتلنه شر قتلة ..

وانه لفى مجلسه يتحدث الى الزبير بن العوام بما أصابه من المكروه اذا رجل ملثم يقتحم مجلس الرسول ويبرك بين يديه مستغفرا مستجيرا قائلا :

حللت رحابك يا رسول الله ولثمت ركابك أنا هبار ابن الأسود ذلك الجانى على نفسه جئتك بسنانى الأثيم لتطعننى به جزاء ما اقترفت من ذنب عظيم ولم يكد يفرغ هبار من اعتذاره واستغفاره حتى نظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم بعينين ليست فيها نقمة الانسان وتماسك الرسول فأصغى الى هبار وأسترسل هبار فى توسله فقال :

لقد ركضت فى سبابك وكنت موضعا فى غيظك ولكنى كنت

مخذولا •• وأبى الله الا أن يخزينى ويجزينى العذاب •• وقد هربت منك فى البلاء والشدة ثم ذكرت صفحك عن جهل وضله وكنا من الجاهلين الضالين ••

فأهتدينا بهديك فأعف عنى يا رسول الله انى معتـرف بجريرتى •• فنظر اليه الرسول وعيناه فى الملا الأعلى حيث يغسل الذنوب وتغفر الخطيئات وعفاً عن هبـار الذى أذى بنت الرسول ••

كما عفا من قبل عن هند بنت عتبة التى مثلت بعمه حمزة.

توفيت زينب سنة ثمان من الهجرة رضى الله عنها ••

تحت الطبع :

شهيرات النساء

فى العالم

للأستاذ محمد على أحمد

نائلة

بنت الفرافصة

وفاء الزوجة

نائلة هى بنت الفرافصة بن الأخوص الكلبية صاحبة عائشة وزوج عثمان بن عفان .. أبوها سيد بنى كلب وهى احدى اللواتى ذهب الدهر بمقالاتهن ومقاماتهن ..

وكانت من أعزب النساء قولا واذكاهن قلبا وأكملهن خلقاء

وعندما ظهرت حركة المعارضة ضد زوجها عثمان فى المدينة واتصل المعارضون بأهل الاقاليم وبأمثال طلحة والزبير وعلى واشترت المعارضة بعد عزل عثمان لوالى مصر عمرو ابن العاص فقد خسر عثمان بعزله صداقة رجل من أدهى رجال عصره وأعتبر عزله من الغلطات الشنيعة التى ارتكبها عثمان .

اذا كانت مصر هى البادية بالخروج على حكمه وبدأت الفتنة فى سنة ٣٥ هجرية بخروج عدد وفير من الثوار من كل

من مصر والبصرة والكوفة والذهاب الى المدينة حيث يقيم عثمان ...

وهنا أجاب عثمان مطالب الثـوار الى عزل ولاته على الاقاليم وارجاع الأموال ولكنه لم يجبهم الى ما طلبوه من عزل نفسه وصمم على البقاء على عرش الخلافة .. وظن الناس أن الثورة أنتهت بايجابه مطالب الثوار وهموا بالرجوع ..

ولكن فى اليوم التالى هجم الثوار على المدينة واستعملوا أساليب العنف أثناء الهجوم ومنعوا عثمان من الخروج من داره ومن الاتصال بالناس وبدأ منذ ذلك الحين حصار دار عثمان وبلغت مدة الحصار أربعين يوما .. هجم الثـوار فى نهايتها على الدار وأقتحموها حيث وجد عثمان هادئا يقـرأ فى المصحف .

عند دخول الثوار على عثمان لم يكن معه الا زوجته نائلة وتتابعوا على الخليفة واحدا بعد الآخر وتطاولوا عليه سبا واهانا وضربه أحدهم بالجزر على صدغه الأيسر فسله الدم وحثو على وجهه وهنا حالت زوجته بينه وبين المعتدى وتمكنت من ذلك لبدانتها ..

ثم دخل رجل من أهل مصر ومعـــه سيف مصـــلت وقال والله لأقطعن أنفه فعاودت الزوجة شهامتها وتحملت هى هى الضربة التى قطعت اناملها ثم وقفت رغم ذلك تحول دون تقدم الثوار ودعت رباح علام عثمان وطلبت اليه أن يفيها فقتل

بسيفه من قطع أناملها ودخل عقب ذلك كنانة من بشر التجيبى ووضع ذبابة السيف فى بطن عثمان فأمسكت نائلة السيف فحز أصابعها ومضى السيف فى بطن الخليفة فقتله ..

وهنا خرجت هذه الزوجة الباسلة وهى تصيح خرج القوم هاربين من حيث دخلوا فلم يسمع صوت نائلة لما كان فى الدار من الأصوات والجلبة وأشرفت على الناس وأعلنت قتل الخليفة وسط الصياح والعويل ..

وقامت هذه الزوجة الوفية ترثى زوجها عثمان وتبكيه فقالت :

« معاشر المؤمنين وأهل الله لا تستكثروا مقامى ولا تستكثروا كلامى فانى حرى رزئت جليلا وتذوقت تكلا من عثمان بن عفان ثالث الأركان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له الفضل تراجع الناس فى الشورى يوم الارشاد، فكان الطيب المرتضى المختار حتى لم يتقدمه متقدم ولم يشك فى فضله متأثم ..

فكان واحداً غير مدافع وخيرتهم غير منازع .. واستمرت فى خطبتها البليغة المعبرة عن أشجانها وأحزانها وتقديرها لزوجها الى أن قالت : « فلله هو فحين فتدتم سطوته وآمنتم رأيتم أن الطريق قد انشعبت لكم والسبل قد اتصلت بكم ظننتم ان الله يصلح على المنسرين فعدوتم عدوة الاعداء وشددتم شدة السفهاء على التقى الخفيف بكتاب الله عز وجل

لسانا الثقيل عند الله ميزانا فسفكتم دمه وأنتهكتم حـــرمه واستحللتم منه الحرم الأربع حرمة الاسلام وحرمة الخلافة وحرمة الشهر الحرام وحرمة البلد الحرام فليعلمن الذين سعوا فى أمره ودبروا قتله ومنعونا من دفنه اللهم ان بئس للظالمين بدلا وانهم شر مكانا وأضعف جندا ..

ولتذكرين بعدها عثمان ولا عثمان هيهات والله ما مثـــله بموجود ومثل فعله بمعدود ..

وارادت نائلة أن تنتقم وحق لها أن تنتقم ولكن ممن لم تجد أمامها الا عليا فهو أمير الناس بعد زوجها وولى النعم فى نظرها ولم تجد الا رجال الشام وجند الشام وأمير الشام فهم أولى بأن تسير سائرتهم وتضرم نار الثأر فبهم أرسلت نائلة الى معاوية بأصبعها الممزقة وقميص عثمـــان المخضب بالدم وأوحت اليه أن يعلق كل أولئك فى المسجد الجامع فى دمشق وأن يقرأ على المجتمعين جميعا ذلك الكتاب ..

من نائلة بنت الفرافصة الى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فأنى أدعوكم الى الله الذى أنعم عليكم وعلمكم الاسلام وهداكم من الضلالة وأنقذكم من الكفر ونصركم على العـــدو وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة وأنشدكم الله وأذكركم حقه وحق خليفته أن تنصروه بعزم الله عليكم فأنه قال (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيىء الى أمر الله ..

فان أمير المؤمنين بغى عليه ولم يكن ولم لم يكن لعثمان عليكم الا حق الولاية لحق على كل مسلم يرجوا أماماته أن ينصره فكيف وقد علمتم شجاعته فى الاســـلام وحسن بلائه وأنه أجاب الله وصدق كتابه واتبع رسوله والله أعلم به ..

اذا انتخبه فأعطاه شرف الدنيا والآخرة وأنى أقص عليكم خبره .. انى شاهدة أمره كله ان أهل المدينة حصروه فى داره وحرسوه ليلهم ونهارهم قياما على أبوابه بالسلاح يمنعونه من كل شيء ..

قدروا عليه حتى منعوه الماء فمكث هو ومن معه خمسين ليلة وأهل مصر قد أسندوا أمرهم الى على ومحمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر وطلحة والزبير فأمروهم بقتله وكان معهم من القبائل خزاعة وسعد بن بكر وهزيل وطوائف من جهينة ومزينة فهؤلاء كانوا أشد الناس عليــه ثم انه حصر فرشق بالنبل والحجارة فخرج من كان فى الدار ثلاثة نفر معه فأتاه الناس يصرخون اليه لتأذن لهم فى القتال فنهاهم وأمرهم أن يرموا اليهم نبلهم فردوها عليهم فما ذاد ذلك فى القتل الا جــرأة فاحرقوا باب الدار ثم جاء نفر من أصحابه فقالوا أن اناســـا يريدون أن يأخذوا من الناس بالعدل فأخرج الى المسجد يأتوك.

فانطلق مجلس فيه ساعة وأسلحة القوم مصلته عليه من كل ناحية فقال ما أرى اليوم أحد يعدل فرخل الدار وكان معه نفر لبس على عاتقهم سلاح فلبس درعا وقال لأصحابه لولا

أنتم ما لبست اليوم درعى فوثب عليه القوم فكلمهم ابن الزبير وأخذ عليهم ميثاقا فى صحيفة بعث بها الى عمان ..

(عليكم عهد الله وميثاقه الا تقربوه بسوء حتى تكلموه وتخرجوا موضع السلاح) .

ولكن القوم يتقدمهم محمد بن أبى بكر دخلوا عليه فنظر اليهم وقال أنا عبد الله وخليفته عثمان فضربوه على رأسه ثلاث ضربات وطعنوه فى صدره ثلاث طعنات وجروه على مقدم العين فوق الأنف ضربة أسرعت فى العظم ولم يكفيهم ذلك بل أثخنوه جرحا وأرادوا أن يقطعوا رأسه ..

فأنثنى أبنة شيبه بن ربيعة فألقت بنفسها معى فوطئنا وطئا شديدا فقتلوا أمير المؤمنين مقهورا على فراشــه وقد أرسلت اليكم بثوبه عليه دمه فأنه والله ان كان أثم من قتله فما سلم من خذله فأنظروا أين أنتم من الله وأنا أشتكى كل ما مسنا الى الله عز وجل واستصرخ بصالحى عبادة فرحم الله عثمان ولعن قتلته وصرعهم فى الدنيا فصارع الخزى والمذلة وشفى فيهم الصدور ..

ذلك هو الكتاب الذى أجتمع لسماعه خمسون ألف شيخ من شيوخ الشام يصيحون ويعجون بالبكاء تحت قميص عثمان وأصابع نائلة ويتقاسمون فيما بينهم الا يمسوا غسلا حتى يقتلوا عليا أو تفنى أرواحهم ..

وبقتل عثمان انفتح باب الشر على المسلمين ولم يقفـــل هذا الباب حتى الآن اذا عقب الحادث المحزن عدة نتائج على أعظم حادث من الخطورة فقد كان سببا فى الفتن التى وقعت بعد ذلك فى الدول العربية . .

ومن عوامل تكوين الفرق الاسلامية كطائفة الشيعة أنصار على وحزب الأمويين بين أنصار عثمان كما أن مقتل عثمـــان مكان الخلافة من النفوس وأزال عنها عظمتها ..

تحت الطبع :

شهيرات النساء

فى العالم

للأستاذ محمد على أحمد

نساء خالدات

« أم حبيبة زوجة الرسول »

من هؤلاء المؤمنات كانت أم المؤمنين رملة (أم حبيبة) بنت أبى سفيان •• وزوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ••

لقد كان ايمانها أشد وأصلب من الجبال •• لا تعتمد الا على الله •• ولا تثق الا بالله •• وقفت لابيها موقف الند للند لا تخشى اذاء ولا ترهب سطوته ولا تجزع من سلطانه وجبروته •• تعلن بكل فخر ولاءها لله ورسوله •• لا لأحد سواهما ••

لقد نشأت نشأة بنات الأشراف من العرب على الترف والرفاهية وكانت ناضجة العقل وأضحة الفكر على قسط وافر من العلم والمعرفة وتقرأ وتكتب فى الأدب والشعر تشتهر بجمالها الباهر •• فكان يتنافس عليها أكثر شباب قريش ••

الكل يريد أن يتخذ منها زوجة له تزوجت عبد الله ابن جحش ومضت بهما الأيام كزوجين سعيدين أسلم الزوجان وهاجرا الى الحبشة •• وهناك عاد حنين زوجها الى الماضى الى النصرانية التى كان عليها ••

فأعلن ذلك الى رملة داعيا أن تتبعه وتشاركه فى الدين •• ولكنها أبت ورفضت ودعته الى الثبات على الايمان فى الاسلام

غرفض وأصر على الرفض •• وانكب على احتساء الخمـــر بشراهة حتى مات •• فقضت رملة أيامها فى الهجرة بين عذاب البعد عن الوطن والأهل وعذاب فقد زوجها •• ولكنها استطاعت أن تصمد فى وجه المحنة وعندما أرسل رسول الله رسله وكتبه الى الملوك والامراء فى انحاء الأرض يدعوهم الى الاسلام •• لم ينس الرسول العظيم فى رسالته التى أرسلها الى النجاشى ملك الحبشة أن يذكر (رملة) بخ يروأن يطلب من النجاشى أن يخطبها له •• فقبل النجاشى مهمة الخاطب وأرسل احدى جواريه تحمل اليها النبأ السعيد ••

ووكلت رملة عنها (خالد بن سعيد بن العاص لاتمام

لقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكمته أن ينال بهذا الزواج أمورا كثيرة ويحقق أغراضـــا عظيمة •• فبالاضافة الى المواساه التى لقيتها رملة •• واطمأنت نفسها القلقة قال رسول الله فتحا عظيما على أكبر عدوا له ولدينه ••

وهو انتصاره على والدها (أبى سفيان) الذى كان يقود كل مؤامرة ومعركة •• أما رملة فقد كان أيمانها ووفائها لدينها عظيما لا يقدر •• فكانت شجاعة فى الحق •• والدليـل على ذلك الحادثة المشهورة فى حياتها عندما واجهت والدها أبا سفيان وجها لوجه •• لا تخشى اذاء ولا تخاف من سلطانه وجبروته فقد حدث أن التجأ أبو سفيان الى بيت رسول الله بالمدينة المنورة يطلب وساطة أبنته لدى رسول الله •• وعندما أراد

أن يجلس ليستريح على فراش النبى منعته (رملة). وقالت له هو فراش رسول الله وأنت رجل مشرك بخس ولا أحب أن تجلس على فراش الرسول ..

فقال لها .. والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر .. فأجابت بل هدانى الله للاسلام .. وأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها كيف يسقط عنك الدخول فى الاسلام .. فخرج غاضبا يكتظ غيظا

فخرج غاضبا يكتظ غيظا وذهب الى أبى الصديق وعمر ابن الخطاب يتوسطهما .. فرفعنا .. ثم جاء الى النبى ولم يقبل وساطته وعاد أبو سفيان الى مكة فاشلا خائبا ..

وحين علم النبى ما دار بين (رملة) وأبى سفيان والدها لذ ذادت قيمتها فى نظره وسمت مكانتها فى قلبه وعلت مكانتها بين أخواتها من أمهات المؤمنين .. ولما أختار الله تعالى نبيه محمدا الى جواره .. أقامت رملة فى بيتها لذكرى الرسول .. حرصت كل الحرص على أن تقول الكلمة الطيبة التى تدعو الى وحدة صف المسلمين .. والتفاهم حول الدين ..

لقد كانت رضى لله عنها سيدة جليلة وقورة هادئـــة لا يستخفها أمر أو حدث .. مهما بلغ عنته أو فاعليته .. وقد توفاها الله تعالى فى العام الرابع والأربعين بعد الهجرة ودفنت فى البقيع .. لقد كانت رضى الله عنها سـيدة جليلة هادئة لم تخرج من بيتها الا للصلاة .. ولا تترك المدينـــة الا للحج ..

زينب الأسدية

زوجة الرسول

زينب هى أم المؤمنين زينب بنت جحش بن دياب الأسدية أقرب نساء النبي وأقربهن منه رحما وأمها أميمة بنت عبد المطلب ابن هاشم عمة الرسول صلى الله عليه وسلم هاجرت الى المدينة فيمن هاجر مع رسول الله وكانت جميلة واضحة الجمال فخطبها صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة ••

فقالت يا رسول الله لا أرضاه لنفسى وأنا أيم قريش قال فأنى قد رضيته فتزوجها زيد فكان يأخذها أحيانا ما يأخذ المرأة اذا زوجت ممن دونها وكان زيد يشكوها لرسول الله حتى هم أن يطلقها لانها قالت له يوما ••

أهلى فى القمة من قومى فان أمى أميمة بنت عبد المطلب وخالى حمزة أسد الله ومحمد بن خالى عبد الله وأنه لظالمى فقد زوجنى بك كرها وأنت مولاه ففزت على الفتيان العظام من قريش وهاشم ••

كفى يا زينب هونى عليك وخففى حدتك فما أنا مولى

رقيق لمحمد بن عبد الله على الرغم من رضاى بخدمته أياه على أهلى ولئن جار الدهر على فأسمعتى منك ما أكره فأنى متقبل هذا منك اذا سمعت حديثى •• فأنصتت اليه زينب متكلفة ••

قال أسمعى حديثى وحكمى ضـميرك حينئذ قال النبى صلى الله عليه وسلم انما أراد طول اليد بالصدقة ولما حضرتها الوفاة قالت لمن حولها أنى قد أعددت كفنى ولعل عمر سيبعث الى بكفن فان بعث بكفن فتصدقوا بأحدهما ان استطعتم •• اذا وليتمونى أن تصدقوا بى ••

(الحقوا بعقد الازار) فافعلوا ••

وتوفيت عليها السلام سنة عشرين ولها من العمر خمسين عاما ••

وقالت عائشة بعد وفاتها •• ليرحم الله زينب لقد نالت فى الدنيا الشرف الذى يبلغه مشرف أن الله عز وجل زوجها نبيه ونطق به القرآن وأن الرسول قال لنا ونحن حوله (أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا) فبشروها بسرعة لحوقها به وهى زوجته فى الجنة وذلك لانها أول من توفيت من نسائه بعده ••

* * *

« صــــــفية »

التى اختارت الاسلام

يا رسول الله •• لقد هويت الاسلام وصدقت بك قبل أن تدعونى حيث صرت الى رحلك ••.ومالى فى اليهودية أرب ومالى فيها والد ولا أخ •• وخيرتنى الكفر والاســلام فالله ورسوله أحب الى من العتق وأن أرجع الى قومى ••

قالت هذه الكلمات صفية رضى الله عنها عنــدما وقعت أسيرة •• وعرض عليها رسول الله الاسلام والعتق •• وقال لها اختارى •• فان اخترت الاســلام أمسكتك لنفسى وان اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقى بقومك ••

فاختارت الاسلام فاعتقها رسول الله وجعل عتقها مهرها وتزوجها •• هى صفية بنت دحيى بن أحطب أحد زعماء يهود بنى النضير فى المدينة المنورة •• كان والدها أشد اليهود عداوة لرسول الله وأكثرهم حقدا على الاسلام والمسلمين •• وكانت صفية على جانب كبير من الجمال •• كانت من أجمل بنــات « يثرب » تزوجها كنانة بن الربيع من يهود بنى النضير ••

رحلت صفية وزوجها وأبوها الى خيبر عنــدما أجلى الرسول اليهود من المدينة بسبب غدرهم ••

وكانت صفية قد نضجت وتفتحت على الحيــاة وعرفت

دقائق الأمور ورأت بعين الحقيقة والانصاف ما كان يفعـله قومها فكانت تتأثر الا أنها لم تكن تبدى ذلك •• وفى يوم من الأيام استيقظت صفية على رؤيا غريبة فحـدثت بها زوجها قائلة رأيت كأن القمر فى ليلة التمام هبط من السماء واستقر فى حجرى فغضب زوجها وقال لها أوتريدين أن تتزوجى من ملك العـــرب ؟ ••

ثم صفعها عى وجهها مع أنه كان يحبها هذه الرؤيا تحققت عندما قتل والدها وزوجها فى غزوة خيبر •• ووقعت صفية أسيرة فى يد المسلمين فتنافس بعض المسلمين عليهـــا وكان تنافسهم يصل الى القتال والشجار لأنها كانت كما علمنا ذات جمال ساحر ••

سمع رسول الله بذلك فأراد أن يحسم الأمر حتى لا تكون (المرأة) سببا من أسباب النزاع والضياع فبادر الى « دحية الكلبى » رضى الله عنه وأعطاه من المال ما يقنعه ويرضيه •• ثم أصطفى صفية لنفسه وحسم الخلاف بحكمته ••

تغلغل الايمان الى أعماق قلبها وامتلك حب رسول الله قلبها •• فكانت تخشى عليه وعلى دعوته ودينه من أذى قومها اليهود وعندما لحق النبى بالرفيـــق الأعلى أقامت فى دارها عابدة تصلى وتصوم وتفعل الخير وكان صحابة رسول الله يقدرونها وفاء منهم لنبيهم ويحترمونها •• وكانت لصـفية مواقف عظيمة فى الاسلام••فعندما حدثت الفتنة أيام « عثمان

ابن عفان » رضى الله عنـــه وحاصره الثائرون فى داره كانت رضى الله عنها أحدى المدافعات عنه وعن كرامة منصب الخلافة الداعية الى احقاق الحق وازهاق الباطل •• المطالبة بالحكمة والاعتدال وعدم سفك واراقة الدماء ••

وقد أضطرت يوم أن هوجم عثمان ابن عفان أن تركب بغلتها وتقود فئة من المدافعين بنفسها وعندما أشتد الحصار على عثمان ومنع عنه الطعام والشراب قامت صـــفية بوضع خشب كالعارضة أو الجسر من دارها الى داره وراحت تنقل أليه من فوقه الماء والطعام ••

كانت صفية بتصرفها هذا تريد أن تدفع الأذى والفتنة عن المجتمع الاسلامى والسلطة التى يمثلها الخليفة ••

وفى العام الثانى والخمسين من الهجرة مرضت صفية وماتت وذفنت فى البقيع •• رضى الله عنها ••

* * *

نساء فى القمة

صفية بنت عبد المطلب

أى قوة ..

أى ثبات ..

أى نساءكن تلكم النساء .. أى شرف كن للانسان .

فلا تقل أى شرف للمرأة .. بل قل . أى شرف للانسان ..

هذا الوجه الآسر بهيبته ..

هذه السيدة التى لها بين جوانبها قلب الأم ورأفة الأخوات هذه المرأة التى لها لين العاطفة ورقة الحس ..

ما الذى أمسك بالقلب فلم يرتعش أمام ارتعاش الدم الذى يتدفق من صدر الشهيد الممزق ما الذى يشعل قلبها بحرا هائل الهدوء .. وكان حريا به أن يكون ريحا عاتية وثورة اعصار ..

ما الذى أعطاها صلابة الرجال وكم تتمزق صلابة الرجال أمام المنظر الخطير ..

هو أخوها..شقيقها الشهيد الكبير حمزة عم رسول الله.

كانت فصيحة اللسان . جريئة فى الحق . وكانت شاعرة مجيدة . محلت على العدو بشعرها مثلما حملت عليه بيدها وبيسالتها ..

تلك السيدة الجليلة هى « صفية بنت عبد المطلب » عمة النبى عليه السلام وأم الزبير بن العوام •• وأخت الشهيد حمزة بن عبد المطلب الذى لم يشف غليل « هند بنت عتبة » منه الا حين أخذت كبده فأكلتها بعد أن قتله « وحشى » فى غزوة أحد ••

وتشاء الأقدار أن تعرض بطولة المرأة وبطولة الرجل فى كفتى ميزان فى حادثة واحدة وفى موقف واحد تخلى الرجل فيه عن الشجاعة التى لا ينتظر صدورها الا من مثله ونزل راضيا عن موقف البطل ليتركه لامرأة كان ينتظر أن تكون دون شجاعة ولو بحكم الموروث من المسموعات عن شجاعة الرجال ••

وهنا لا يتأخر التاريخ لحظة عن أن يسجل للمرأة شجاعتها وبسالتها واقدامها فى موطن تخاذل عنه الرجل •• فأقرأ أى كتاب من كتب التاريخ أو السيرة أو الاخبار أو المغازى أو التراجم والطبقات •• فأنك لا شك واقع فيه على حكاية صفية بنت عبد المطلب مع اليهودى الذى كان يتجسس لينال عورة من المسلمين ••

ولم يفت « ابن هشام » مؤرخ السيرة أن يسجل حادثة « صفية » مع اليهودى •• نقلا عن المؤرخ ابن اسحاق ومن هنا تلقفها كتب كثيرة وأصبحنا نجدها فى أكثر من مصدر كان المؤرخ العربى حريصا على ألا تضيع هذه الحادثة من أمجاد التـــــاريخ ••

ويذكر المؤرخون عن هذه الحادثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج لقتال عدوه من المدينة وضع أزواجه ونساءه فى حصن يدعى « فارعا » وكان من أحصن حصون المدينة .. فمر رجل يهودى جعل يطيف بالحصن مريبا وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين الرسول من عهد والمسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا الى ذلك الحصن ان أتاه آت ولاحظت صفية بنت عبد المطلب مواضع الريبة تبدو على خطوات تلك اليهودى للتجسس ..

فاتجهت الى حسان بن ثابت وكان مع من كانوا فى الحصن فقالت له .. يا حسان .. ان هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن وأنى والله ما أمنه أن يدل على عورتنا من وراء ذا من اليهود فأنزل اليه فاقتله .. فقال حسان .. يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب .. والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا .. قالت صفية .. فلما قال حسان لى ذلك ولم أر عنده شيئا .. أحتجزت أى شددت وسطى .. وأخذت عمودا ونزلت من الحصن اليه .. فضربته بالعمود حتى قتلته .. ثم رجعت الى الحصن فقلت .. يا حسان أنزل اليه فأسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه الا أنه رجل ..

فقال لها حسان مالى بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب هذا مقام حفظه التاريخ لصفية بنت عبد المطلب حين تنحى الشاعر حسان ابن ثابت عن الشجاعة التى لم تكن تسعفه أبدا

فى كل مواطنه .. فقد كان فيه رضى الله عنه .. ما نور عنه على الرغم مما كان فى لسانه من صرامة وشدة ..

وياليت الشجاعة التى كانت على لسان حسان كانت فى قلبه اذن لوقع التوازن بين شجاعة القلب وشجاعة اللسان ..

واذا كانت الشاعرية قد اجتمعت لحسان بن ثابت مع الجبن وانخلاع الفؤاد فان « صفية » بنت عبد المطلب قد جمعت بين الشعر والشجاعة فى شخص واحد فقد أثر لها أكثر من قصيدة فى أغراض من الشعر وخاصة الرثاء الذى كانت تجيد القول فيه فمن قولها فى رثاء أبيها عبد المطلب بن هاشم حين حضرته الوفاة دعاه الله الحق ذو العرش دعوة — الى جنة جنة يحيا بها وسرور فوالله لا أنساك ما هبت الصبا — بكاء وحزنا محضرى ومسيرى فياليت شلوى عند ذلك وأعظمى لدى أضبع تعتادنى ونسور واذا كانت الخنساء — العربية شاعرة الدموع والبكاء فان صفية بنت عبد المطلب كانت مثلها فى البكاء على الأعزاء وهما تجتمعان فى الشجاعة وفى الشعر على حين انفرد حسان بالشعر وخلى الشجاعة لأصحابها ولو كانوا من بنات حواء هذه هى صفية بنت عبد المطلب فى بعض دموعها وفى بعض عواطفها يلم الخطب وتنزل المصيبة فأحب الناس اليها . أما صفية فى رباطة جأشها وشجاعة قلبها وثباتها حين ينخلع قلب الجبان ..

فقد عرفناها فى حادث اليهودى الذى أراد أن يطلع على

عورة من عورات المسلمين فى غزوة الخندق فكان نصيبه أن يصاب بمقتل على يديها لا على يدى حسـان .. الذى ترك الموقف كله لأمرأة شجاعة .. وحسبها أن يكون هذا القتل بيد امرأة مسلمة هو أول حادث يسجله التاريخ فيقول أن صفية بنت عبد المطلب (هى أول امرأة قتلت رجلا من المشركين) .

* * *

تحت الطبع :

عظماء الاســـلام

للأستاذ محمد على أحمد

نسـيبة

واذا كانت « صفية بنت عبد المطلب » تمثل الشجاعة النادرة فى موقف واحد .. فان الصحابية الجليلة .. والمجاهدة الكبيرة «نسيبة بنت كعب الأنصارية » تمثل الشجاعة الدائمة فى كل موقف .. وتصور البطولة المتجددة التى لا تتخلى عن واجبها حين يدعوها الوواجب فتجيبه بما تقدر عليه .. وبأكثر مما تقدر ..

ومن أسبق مواقف « نسيبة بنت كعب » الى شـجاعة القلب ومروءة النفس وصدق البلاء وسرعة النجدة موقفها فى بيعة « العقبة الثانية قبيل هجرة الرسول عليه السلام الى المدينـة » ..

فقد كانت هى وأسماء بنت عمرو ابن عدى من بنى مسلمة المرأتين الوحيدتين اللتين انضمتا الى سبعين رجلا من الأنصار لمبايعة من الأنصار فى تلك المناسبة التى شهدها امرأتان من نساء الأنصار .. قولته المشهورة .. الدم .. الدم .. والهدم الهدم .. أنتم منى وأنا منكم .. أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم ..

وكان من عادة الذين يبايعون محمدا عليه الصلاة والسلام أن يصافحوه باليد .. اقرارا للبيعة .. وتوكيدا للعقد .. ولكنه خلى النساء..وأعفاهن من المصافحة .. تكريما للمرأة وتقديرا

لحرمتها •• فكان يأخذ عليهن العهد بغير مصـافحة •• فاذا أقررن قال أذهبن فقد بايعتكن •• ومن هنا لم يكن لنسيبة وزميلاتها الأنصارية شرف مصافحة النبى باليد وان كان لهما شرف اللقاء والمبايعة باللسان ••

وسواء أكانت الزميلة الثانية فى بيعة العقبة الثانية هى « أسماء بنت عمرو أم هى أخت نسيبة لأبيها وأمها » ••

فان الثابت اليقين أن « نسيبة بنت كعب كانت احـدى المرأتين المبايعتين على ذلك مؤرخ ولا راوية ••

ولقد كان لنسيبة بنت كعب فى يوم أحـد موقف رائع لا ينساه تاريخ البطولة وهو يسجل الأمجاد للابطال من الرجال والنساء على حد سواء ••

وندع نسيبة نفسها •• وكنيتها أم عمارة كما فى كتب المغازى والطبقات••تصور بنفسها ما دار فى واقعة أحد قائلة :

لانكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم لا ترس لى معى •• فرأى رجلا موليا معه ترس فقال لصاحب الترس •• ألقى ترسك الى من يقاتل فألقى ترسه •• فأخذته فجعلت اتترس به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم •• وانما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل لو كانوا رجاله مثلنا أصبناهم ان شاء الله فيقبل رجل على فرس •• فضربنى وتترست له •• فلم يصنع سيفه شيئا •• وولى واضرب عرقوب فرسه ••

فوقع على ظهره فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يصيح ..

يا ابن أم عمارة .. أمك .. أمك .. فعاوننى عليه حتى أردته شحوب ..

ولقد كانت أم عمارة أثبت على القتال فى يوم أحد أكثر من الرجال .. وكان جيش المسلمين فى اوقعة يزدحم بأمثال على وأبى بكر وعمر وسعد وطلحة والزبير بن العـــوام والعباس وزوجها زيد بن عاصم وولديها عبد الله وحبيب ابنى زيد بن عاصم فكانت من أبرز الناس شجاعة وأظهرهم بطولة وأصبرهم على القتال ..

وكانت لا ترى الخطر يدنو من رسول الله عليه السلام حتى تكون مسرعة اليه تذود عنه وتقيه وتفديه حتى قال النبى صى الله عليه وسلم فى تعداد مآثرها وذكر فضلها « ما التفت يمينا وشمالا الا وأنا أراها تقاتل دونى » .. وإذا كنا قرأنا قبل قليل وصف أم عمارة لنفسها بنفسهـــا فى المعركة وهى تقاتل دون رسول الله .. فانه يكمل الوصف أن نقرأ هنـــا ما حدث به ابنها عمارة حيث قال (جرحت يومئذ جرحا فى عضدى اليسرى .. ضربنى رجل كأنه الرقل .. أى النخلة العالية .. ومضى عنى .. ولم يعرج على ..

وجعل الدم لا يرقا .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعصب جرحك .. فأقبلت أمى الى ومعها عصائب فى

حقوبها •• قد أعدتها للجراح فربطت جرحى والنبى واقف ينظـــــر الى •••

ثم قالت : انهض بنا نضارب القوم فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول : •• ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة قالت : وأقبل الرجل الذى ضرب ابنى •• فاقل رسول الله هذا ضارب ابنك فرأيت رسول الله يبتسم حتى رأيت نواجذه وقال •• استقدت •• أى أخذت بالثأر يا أم عمارة •• ثم أقبلنا نعله بالسلاح حتى أتينا على نفسه •• فقال النبى صلى الله عليه وسلم •• الحمد لله الذى ظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينك ••

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلو له من وقت لأخر أن يعقد موازنة بين أم عمارة وبطولات غـــــيرها من الرجال فيقول :

(لمقام نسيبة اليوم خير من مقـــام فلان وفلان) وقد رآها رأى العين يوم « أحد » وهى تقاتل أشد القتال وأنهـــا لحاجزة ثوبها على وسطها •• حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا • وكان يقول عليه السلام •• انى لأنظر الى ابن قمئة •• وهو يضربها على عاتقها •• ولقد بلغ من عظم ما تعرضت له من جراح أن أحد جروحها يوم « أحد » قد احتاج فى مداواته الى ما يقرب من سنة كاملة ••

وإذا كان النبى الكريم قد عقد موازنة صادقة بين بطولة أم عمارة وبطولات غيرها من الرجال .. فأنها هى ذاتها قد طاب لها أن تعقد موازنة بين بطولة المرأة المسلمة والمرأة المشركة من قريش .. فقد سألها سائل :

يا أم عمارة : هل كان نساء قريش يومئذ يقاتلن مع أزواجهن ؟ فقالت : أعوذ بالله .. لا والله .. ما رأيت امرأة منهن رمت بسهم ولا حجر .. ولكن رأيت معهن الدغاف يضربن ويذكرن القوم قتلى بدر ..

ومعهن مكاحل ومراود فكلما ولى رجل أو تكعكع ناولته أحداهن مرودا ومكحلة ويقلن انما أنت امرأة .. ولقد رأيتهن ولين منهزمات مشمرات .. فلها عنهن الرجال أصحاب الخيل ونجوا على متن خيولهم .. وجعلن يتبعن الرجال على أقدامهن فجعلن يسقطن فى الطريق ..

أما نسيبة بنت كعب — أم عمارة — فكان لها شأن غير شأن النساء من قريش .. لقد كان الايمان يملأ قلبها ويدعوها الى أن ترد مورد الموت .. ومزالق الخطر صابرة مصابرة .. فكانت تضرب فى نحور المشركين من قريش وترتمى بين صفوفهم كالصاعقة الملحقة لا تبالى بالموت .. ولا تأبه بالدم الناعر من جسمها .. حتى قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لولدها فى وطيس المعركة بارك الله عليكم من أهل بيت . فلما سمعت نسيبة هذه الدعوة المباركة تخرج من فم النبى

قالت : أدع الله أن نرافقك فى الجنة •• فقال اللهم أجعلهم رفقائى فى الجنة •• وهنا اطمأن قلب البطلة المجاهدة وقالت فى رضاء المؤمن •• والله ما أبالى ما أصابنى فى الدنيا ••

ولم يقل موقف أم عمارة البطولى فى عهد الخليفة الأول أبى بكر رضى الله عنه •• عن موقفها فى عهد الرسول •• فقد خرجت مع من خرج من المسلمين لقتال « مسيلمة الكذاب » فى حرب اليمامة •• وذلك حين تهيأ بعث خالد بن الوليد الى اليمامة لقتال المرتدين •• فقد جاءت هذه البطلة التى أثخنتها الجراح الى أبى بكر تستأذنه فى الخروج مع المجاهدين ••

فأجابها جواب العارف الخبير •• قد عرفنا جزاءك فى الحرب فأخرجى على اسم الله •• ولم يكتف بالأذن لها بل أوصى بها خالدا •• وهنا بلغت القمة فى الجهاد فجرحت أحد عشر جرحا •• أو أثنى عشر جرحا كما يذكر ابن عبد البر فى « الاستيعاب » ما بين طعنة وضربة وقطعت يدها وقتل ولدها•

ولما انتهت حرب اليمامة بهزيمة المرتدين وانتصار المسلمين •• عادت نسيبة الى منزلها •• فجاءها فيه خالد ابن الوليد يطلب من العرب مداواتها بالزيت المغلى فكان أشد عليها من القطع •• وكان خالد كثير التعهد لها يعرف حقها وسابق فضلها •• ويحفظ فيها وصية خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم •• ولم يستكبر الخليفة أبو بكر أن يفد اليها زائرا وسائلا عنها وحفيا بها ••

الخنساء

هى الشاعرة الكبيرة تماضر بنت عمر بن الحارث..لقبت بالخنساء لقنوا أنفها .. ولدت فى الجاهليـــة ونشأت بها وتعشقت الشعر فى سن مبكرة .. ولم تزل به حتى برعت فيه وظهرت على غيرها من الشعراء .. ولعل أجـدر ما يذكر فى حياة الخنساء ...

وهو فقدها أخويها « معاوية وصخر » فى الجاهليـــة وبكاؤه عليهما أكثر العمر .. ولما ظهر الاسلام أتت الخنساء مع قومها الى النبى فأسلمت وأدركت أيام عمر بن الخطاب ..

وضحت بأولادها الأربعة فى سبيل الاسلام فى حـرب الفرس ..

تيقظت البداء الساكنة على صوت الطبول ودوى الفضاء المشرق بأصوات التهليل .. وهتف هاتف الاسلام (أن الى الحرب .. الى الحرب الى القتال أيها المسلمون الى بسط كلمة الله .. الى اعلاء راية الحق .. الى نشر لواء الاسلام) فسألت طرق المدينة بألوان الوفود وشرقت ضروبها بصنوف الرجال .. وكلهم مشرق باسم .. يلقى الحرب بوجه وضاح سمح لألأته قوة الايمان واغرقته نشوة التضحية ورواه نور

الاسلام •• وفى ركن هادىء من أركان تلك المدينة الزاخرة الهادرة كانت تجلس عجوز واهنة أنقضت ظهـرها السنين وأثقلت كاهلها الايام وأطفأت بصرها الأقدار •• وقد وقف أمامها أولادها الأربعة وكلهم فارع مديد وقد انصتوا لحديثها فى خشوع وهاأه وهى تقلدهم النصيحة بعــد النصيحة •• وتوصيهم بالاستبسال فى القتال والاستشهاد فى سـبيل الله وتذكرهم بما وعد به الله عباده المؤمنين فتقول : ••

وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين •• واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية فاذا أصبحتم •• ان شاء الله سالمين •• فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين ••

ومضت فى حديثها وهم خاشعون صامتون فما راجعوها الحديث ولا ناقشوها العبارة بل تلبثوا منصتين حتى النهاية ثم أقبلوا عليها فلثموا أكفها واحدا فواحدا وخرجوا خاشعين•

تلك هى الخنساء شاعرة العرب الباكية الناحبة على فقد أخويها (معاوية وصخر) فى الجاهلية الأولى •• والتى قضت العمر تسكب الدموع وتجرى عليهما العبرات هى ذى اليوم تبعث الى الحرب بأولادها الأربعة •• بعد أن فاض فى قلبها نور الاسلام ••

وأشرقت فى نفسها قوة الايمان •••

وتهيأ الموكب وسار الجيش وتطايرت رمال الصــحراء تحت أخفاف الأبل وسنابك الخيل وتقدم العرب وقد جردوا سيوفهم الساطعة تحت أشعة الشمس البارقة •• وهناك كثب من (القادسية) تلاقى الأعداء واجتمع العرب بالفرس فترامت السهام واهتزت السيوف •• وصهلت الخيل وحمى وطيس الحرب وتلظى سعار المعركة ••

وما هى الا جولة أو جولتان حتى أوقع العرب الفرس وشتتوا صفوفهم وظهروا عليهم بعــد أن استشهدت طلائع جيش العرب وفيهم أولاد الخنساء الأربعة •• ومضى العرب فى فتحهم حتى تم لهم الفتح •• وبسطوا دولة الاســلام وخضعت لهم بلاد كسرى ودانت لهم ربوع الفرس ••

* * *

مارية المصرية

جلس الرسول وصحبه يتحاورون فى دعوة الملوك للاسلام وأخذ الكتاب يقرؤون رسالات النبى وسفراؤه المختارون بين يديه يستمعون لرأيه ونصحه ..

وهذا خاطب بن بلتعة يأخذ من يد الرسول رسالة الى المقوقس عظيم القبط فى مصر وفيها جـاء (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام فأسلم تسلم واسلم يؤتك الله أجرك مرتين .. يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا تعبدوا الا الله وحده ولا تشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان قولوا أشهدوا بأنا مسلمون) ..

واستقبل المقوقس رسول محمد حاطب بن أبى بلتعـة بالبشر والترحاب ولما قرئت رسالة النبى ودعوته أنبسط وجهه وأشرقت أساريره فلم تأخذه الراجفة التى أخذت كسرى حين فرق الرسالة غيظا واستكبارا ولا طوفت بالمقوقس خيلاء هرقل

ملك الروم حين تلقى دعوة الرسول للهدى ودين الحق بل رد على رسالة النبى اليه ردا مبهما جاء فيه لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط .. قرأت كتابك وما تدعوا اليه وقد كنت أعلم أن نبيا قد بقى وقد كنت أظن : ..

أن مخرجه الشام وهناك كانت تخرج الأنبياء قبله فأراد قد خرج بالعرب فى أرض جهد وبؤس والقبط لا تطوعنى فى اتباعه ولا أحب أن يعلم بمحاورتى أياك وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بهدية وبجاريتين لهما فى القبط قــدر ومكانة ومع الجاريتين أخوهما الشيخ مأمور ..

وجعل المقوقس رسالة النبى فى علبة ثمينة مرصــعة بالجوهر عاد حاطب بن بلتعة سفير الرسول الى الحجاز حاملا جواب اقوقس وهداياه الى رسول الله ففرح بلقائه واستمع الى ما حمله من كلام المقوقس وأثنى على أهل مصر من القبط وتقبل هدية حاكمها وفيها السيدة مارية القبطية المصرية وكانت مارية من نصيب الرسول فتزوجها حتى يتمكن من نشر دعوته بين القبط ويصبحوا له أنصار ..

وذهب شقيقها سرين لشاعره المجيد حســان بن ثابت فأكرم مثواها ..

وانزل الرسول مارية وأخاها فى منزل بضواحى المدينة وضرب عليها الحجاب أسوة بنسائه .. ولما ولدت مارية ابنها ابراهيم أولاها الرسول عطفه ومحبته وتخير أم سيف مرضعة

اوليده على عادة العرب وجعل فى حوزيتها سبعا من الماعز ترضعه من لبنها وكلما نما ابراهيم وترعرع وازداد شبها بأبيه تعلق به وأفرغ فى حبه له وحنانه الأبوى الذى كان يضفيه على بنيه وبناته ..

وكانت مارية وضيئة الطلعة ذكية القلب طيبة الشمائل وقد حسن اسلامها وتقواها فأعزها الرسول لأدبها وطاعتها..

وتوفى ابراهيم بعد عدة أشهر من مولده ولما أسلم الطفل روحه الى بارئها قال رسول الله :

— أنا يا ابراهيم لا نغنى عنك من الله شيئا .. وأشتد حزن الرسول فرده أصحابه ونهنهوا من حدة أساه وذكروه بما نهى عنه فقال : ..

ما عن الحزن نهيت وانما نهيت عن رفع الصوت بالبكاء وان ما ترون من أسفى هو أثر ما فى قلبى من حب ورحمة وأن من لا يرحم لا يرحم وقد أشيع أن الشمس كسفت يوم موت ابراهيم وسمع الرسول هذا فخرج اليهم وخطب على المنبر فقال : ..

أيها الناس ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فأفزعوا الى الله بالصلاة ..

وهون الرسول على مارية الثكلى حزنها ووجومها فأغدق

عليها بره ورضاه وشمل أختها سرين برعايته ووصى بالقبط خيرا من أجل مارية فقال لقومه : (استوصوا بالقبط خيرا فان منهم فيكم طهرا وذمة وتمنى لو عاش ابراهيم لوضع الجزية عن كل قبطى •• وعاشت مارية بعد وفاة الرسول عليه السلام معززة مكرمة اذ عنى بها الصحابة والخلفـــاء تكريما لذكرى زوجها الراحل العظيم ••

* * *

لكل فتاة ولكل زوجة ولكل أم

شهيرات النساء

أروع ما كتب محمد على أحمد

عن نساء العالم الشهيرات

حفصة

بنت عمر بن الخطاب

حفصة : .. هى أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب القرشية العدوية زوج رسول الله واحدى الصائمات القائمات القانتات من المسلمات ..

ولدت رضى الله عنها قبل مبعث النبى بخمس سنوات وزوجت من جنس بن حذافة السهمى أحد السابقين الأولين فهاجر بها الى المدينة وأقامت معه حتى مات عنها بعد مابة من بدر سنة ثلاث حتى اذا انقضت عدتها عرضها عمر على أبى بكر فسكت ثم عرضها على عثمان حين ماتت زوجته رقيــة بنت رسول الله فقال مالى فى النساء من حاجة ..

فذكر عمر ذلك لرســول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله ألا تعجب من عثمان أنى عرضت عليه حفصة فأعرض عنى فقال رسول الله قد زوج الله عثمان خيرا من ابنتك وزوج الله ابنتك خيرا من عثمان فتزوج رسول الله حفصة وزوج أم كلثوم ابنته من عثمان ولقد كان زواج الرسول منها حبا فى

عمر بن الخطاب لا حبا فى حفصة نفسها وذلك بشهادة عمر نفسه اذ قال بينما أنا فى أمر من أمورى اذ قالت لى امرأتى لو انك صنعت كذا وكذا .. فقلت لها ومالك أنتي وما تكلفتك فى أمر أريده فقالت لى : .. عجبا يابن الخطاب ما تريد أن تراجع وابنتك تراجع رسول الله عليه السلام حتى يظل يومه غضبان .. فذهب عمر من فوره حفصة وقال لها : ..

يا بنية انك لتراجعين رسول الله حتى يظل غضبان فقالت حفصة والله أنا لتراجعه فقالت: .. تعلمين انى أحذرك عقوبة الله وغضب رسول الله يا بنية لا يغرنك هذه التى قد أعجبها حسنها وحب رسول الله أياه والله لقد علمت أن رسول الله لا يحبك ولولاى لطلقك .. لهذا نرى أن رسول الله تزوج من حفصة اكراما لأبيها وتقوية لروابط المسلمين لا حبا فى حفصة نفسها ..

ولقد كانت حفصة شديدة الغيرة بل أشد نساء الرسول غيرة فقد حدث أن ذهبت الى أبيها تحدثه فى أمر من الأمور وجاءت مارية الى رسول الله وهو فى دار حفصة ..

وعندما عادت حفصة وجدتها هناك فجعلت تنتظر خروجها وهى أشد ما تكون غيرة وطال انتظار حفصة .. وازدادت غيرتها حتى خرجت مارية ودخلت حفصة على الرسول والغيرة تكاد تأكل قلبها فقالت له لقد رأيت من كان عندك والله لقد سببتنى وما كنت لتصنعها لولا هو أن عليك وأدرك الرسول عليه

السلام أن الغيرة قد تدفع حفصة الى اذاعة ما رأت ونشره بين زوجاته ..

فتوقع بينه وبينهن .. وأراد ارضاءها فأقسم لها أن مارية حرام عليه اذا هى لم تذكر مما رأت شيئا فوعدته حفصة أن تفعل لكن الغيرة كانت على أشدها فلم تطق صبرا على كتمان ذلك السر فأذاعته الى عائشة التى أومأت به الى رسول الله .. ولما رأى الرسول عليه السلام ذلك استاء من حفصة أشد الاستياء حتى قيل أن الرسول طلق حفصة بنت عمر بعد افشائها سرا من أسراره ..

وفى هذه المناسبة نزلت الآية الكريمة (واذا أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض .. فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير) ..

ولم تقف غيرة حفصة عند هذا الحد .. بل ازدادت عندما رزق الرسول ابنه ابراهيم من مارية القبطية مما جعل حب النبى لمارية يزداد فكانت حفصة وعائشة أشد نساء النبى غيرة منها حتى انهن كن يقابلنه بوجه عبوس ويوقعن بينه وبين أزواجه وبين مارية ..

ولما كان الرسول يحب ابنه ابراهيم حبا جما فقد استاء من عائشة وحفصة ومن تبعهما من نسائه فانقطع عنهم جميعا شهرا كاملا حتى أشيع أن الرسول مطلق أزواجه ..

وأراد عمر بن الخطاب أن يدخل على الرســول ولكن الرسول لم يجب فصاح عمر برباح غلام الرســول يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله فاني أظنه ظن اني جئت من أجل حفصة والله لئن أمرني بضرب عنقها لأضربن عنقها فأذن له الرسول بالدخول ..

فقال له عمر : يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء ان كنت قد طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنين معك وانعكف يحدث الرسول حتى ذهب عنه الحزن وضحك وأخبره الرسول انه لم يطلق أزواجه وبمناسبة هذه الحادثة التى كانت سببها حفصة بنت عمر نزلت الآية الكريمة (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم) ..

وعندما نزلت هذه الآية اطمأنت قلوب نساء الرســول وثابت حفصة الى رشدها وصارت من أحب نساء الرسول اليه وظلت متمتعة بعطفه وحنانه عليهــا حتى أختاره مولاه الى جواره راضيا عنها ..

* * *

سكينة

ريحانة الحجاز

السيدة سكينة بنت الحسين بن أبى طالب أتصفت هذه السيدة الجليلة بالكرم والجود وكانت سيدة نســاء عصرها ومن أجمل النساء وأحسنهن أخلاقا وأعلاهن مقاما وأوفرهن ذكاء وعقلا وأدبا فاحرزت نصيب السبق فى مضمار الأدب والتف حولها الشعراء والأدباء وكانت عفيفة تجالس العظماء من قريش ويجتمع اليها الشـــعراء وكانت من أحسن الناس شعرا ..

ومما يؤثر عنها أنها حضرت مأتما فيه عثمان بن عفان فقالت • بنت عثمان • أنا بنت الشهيد فسكتت سكينة حتى اذا اذن المؤذن وقال أشهد أن محمد رســـول الله فقالت لها سكينة هذا أبى أم أبوك ..

فقالت بنت عثمان لا أفخـــر عليك أبدا وكان لها تأثير شديد فى جميع أهل عصرها الذين كانوا تحذون حذوها فى

جميع ما تصنعه حتى أنها كانت تفزع الأزياء واضعة الطرة السكينة المنسوبة اليها المعروفة باسمها بين النساء ..

وشهرتها لم تكن قاصرة على الأزياء بل انها اكتسبت الشهرة عما كانت عليه من الأدب العالى والمعارف الواسعة وحسن المحاضرة حتى أصبح منزلها كعبة لكل قاصد من الفقهاء والشعراء والفلاسفة والعلماء وكانت تستقبل الزائرين الذين كانوا يعبرون على منزلها من جميع الانحاء لمحاضرتها أو التماس صلاتها أو طلب مساعدتها وكانت تزين المجلس بحسن أدبها ووفرة ذكائها والأسئلة العديدة التى كانت تطرحها على الأدباء والشعراء الذين كانوا يحسبون لها حسابا كبيرا لانها كانت نقادة لا تخشى فى الحق لومة لائم ..

وسكينة هى زوجة مصعب أخى عبد الله بن الزبير . وقتل مصعب وبعض أنصاره فى جمادى الأولى سنة ٧٢ هجرية .

ثم ندب عبد الملك لقتال عبد الله رجلا مشهورا فى التاريخ هو الحجاج بن يوسف الثقفى وقضى على حياة ابن الزبير وانتهت بموته حياة هذين الأخوين وقد أثرت وفاة زوجها فى نفسها أعمق التأثير وذكرت أهل الكوفة بما فعلوه بقولها .. لا جزاكم الله عنى خيرا قتلتم جدى عليا وقتلتم أبى الحسن وأخى عليا وها أنتم تقتلون زوجى مصعبا فبأى وجه تلقوننى

وضربت سكينة بنت الحسين مثلا أعلى فى الشجاعة والبطولة والوفاء • يوم أن بدأ الخطب بمسجد دمشق يدعو لخلافة بنى أمية فقد وقفت سكينة فى ذلك اليوم مستخفية حتى اذا بدأ الخطب يلعن آل بيت النبى صاحت سكينة وزميلاتها يرددن اللعنة على الخطيب مما احدث اضطرابا فى صفوف الموجودين بالجامع ولم يتمكن الخطيب من اتمام خطابه ••

وتوفيت السيدة سكينة رضى الله عنها بمكة فى ربيع الأول سنة ستة وعشرين ودفنت بالمراغة بقرب السيدة نفيسة •••

* * *

أم كلثوم

بنت على ابن ابى طالب

هى أم كلثوم بنت عى بن أبى طالب وأمها سيدة نساء العالمين فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ولدت قبل وفاة رسول الله وخطبها عمر بن الخطاب الى على بن أبى طالب فقال على انها صغيرة فقال عمر زوجنيها يا أبا الحسن فأنى أرص من كرامتها • فقال له على أنا أبعثها اليك فان رضيتها فقد زوجتها وقال لها مولى له هذا الرد الذى قلته لك فقالت ذلك لعمر فقال مولى له قد رضيت ووضع يده وجاء عمر الى مجلس المهاجرين وكانوا يجلسون ثم جاء على وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف •• وقال زفتونى فقالوا بمن يا أمير المؤمنين قال بابنه على بن أبى طالب فقال سمعت رسول الله يقول كل نسب وصهر منقطع يوم القيامة الا نسبى وسببى وظهرى فكان لى به عليه السلام النسب والسببى فأردت ان أجمع ودخل بها فى ذى القعدة سنة ١٧ هجرية وقد أمهرها أربعين ألفا وظلت عنده حتى قتل وولدت له زيد بن عمر الأكبر

ورقية بنت عمر ولما تأمنت أم كلثوم من عمر بن الخطاب دخل عليها حسين وحسن أخواها فقال لها .. انك ممن قد عرفت سيدة نساء العالمين وبنت سيدتهن وانك والله ان امكنت عليا من رقبتك ليزوجك بعض أتباعه ولئن أردت أن تصيبى بنفسك مالا عظيما لتصيبيه وطلع على يتكىء على عصاه فجلس بحمد الله وقال قد عرفتم منزلتكم عندى يا بنى فاطمة وأثرتكم على سائر ولدى لمكانكم من رسول الله وقرابتكم منه فقالوا صدقت رحمك الله وجزاك الله عنا خيرا ..

فقال أى بنية ان الله عز وجل قد جعل أمرك بيدك فأنا أحب أن تجعله بيدى فقالت انى امرأة أرغب فيما يرغب النساء وأحب أن أصيب مما تصيب النساء من الدنيا وأنا أريد أن أنظر فى أمر نفسى فقال لا والله يا بنية ما هذا من رأيك ما هو الا رأى هذين ..

والله لا أكلم رجلا منهما ..

فاخذ بثيابه فقالا . اجلس يا أبه فوالله هجرتك من جسر أجعلى أمرك بيده فقالت قد فعلت . قال قد زوجتك من عون ابن جعفر وانه لغلام وبعث لها بأربعة آلاف درهم وأدخلها عليه . وقل لعلى حدث البارحة هو أشد عليك من طلحة والزبير وأم المؤمنين ومعاوية قال : وما ذلك قال خرج ابن عمر الى الشام فأتى على السوق ودعا بالظهر فحمل الرمال وأعد لكل طريق طلابا وناح أهل المدينة وسمعت أم كلثوم بالذى هو

فيه فدعت ببغلتها فركبتها فى رحل ثم أتت عليا وهو واقف فى السوق فقالت مالك لا تزيد من هذا الرجل أن الأمر على حلاف ما بلغته فطابت نفسه وقال انصرفوا والله ما كذب ولا كذب وانه عندى ثقة فانصرفوا ونصل الناس على السن فزعين لما حدث من أمر على فبينما هم عند مكى وابن ملجم مكتوف بين يديه اذ نادته أم كثوم بنت على وهى تبكى ابى عـدو الله لا بأس على ابى والله يخزيك فقال ابن ملجم فعلى من تبكين والله لقد اشتريته بألف وسممته بألف ولو كانت هذه الضربة على جميع الأهل ما بقى منهم أحد وكان وفاتها هى وابنها زيد فى يوم واحد ..

* * *

نفيسة بنت الحسن

من ربات العبادة والصلاح والزهد والورع ولدت بمكة سنة ١٤٥ هجرية ونشأت بالمدينة ودخلت مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر الصادق وقيل مع أبيها الحسن الذى نصب واليا على مصر من قبل أبى جعفر المنصـــور فأقام بالوراثة خمس سنين ثم غضب عليه انصور فعزله وصادر كل شيء له وظل محبوسا حتى مات المنصور وولى الهـــادى فأخرجه من سجنه ورد عليه كل شيء أخذ منه ..

وحفظت نفيسة القرآن الكريم وتفســيره ويروى أن الامام الشافعى لما دخل مصر حضر اليها وسمع عليها الحديث وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهـــار وكانت لا تأكل الا فى كل ثلاث ليال أكلة واحدة ولا تأكل من غير زوجها شيئا وحجت ثلاثين حجة وكانت تبكى بكاء شـــديدا وتتعلق بأستار الكعبة وتقول الهى وسيدى ومولاى متعنى وفرحى برضاك عنى . وقالت زينب بنت يحيى المنوح صامت عمتى

نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت الليل ولا أفطرت النهار فقلت لها أما ترفقين بنفسك فقالت كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبات لا يقطعها الا الفائزون ..

وكانت نفيسة ذات مال واحسان الى المرضى واليتامى والمساكين وكانت تحسن الى الامام الشـافعى لما ورد الى الديار المصرية وربما صلى بها ولما توفى الشافعى أمرت بجنازته فأدخلت اليها فصلت عليه ..

ومرضت نفيسة بعد أن أقامت بمصر سبع سنين فكتبت الى زوجها أسحق المؤتمن كتابا وحضرت قبرها بيدها فى بيتها فكانت تنزل فيه وتصلى وقرأت فيه مائة وتسعين خاتمة وما برحت تنزل فيه وتصلى وتقرأ وتبكى بكاء عظيما حتى احتضرت سنة ٢٠٨ هجرية وهى صائمة فالزموها الى الفطـر فقالت واعجبا منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه وأنا صائمة وأفطر الآن هذا لا يكون ثم قرأت سورة الأنعام وكان الليل قد هدأ فلما وصلت الى قوله تعالى (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) غشى عليها ثم شهدت شهادة الحق وقبضت الى رحمة الله فوصل زوجها الى مصر فى يوم وفاتها فقال : انى أحملها الى المدينة وأدفنها بالبقيع فلجتمع

أهل مصر الى أمر البلد واستجاروا به عند اسحاق ليردد عما أراد فأبى فجمعوا له مالا جزيلا حتى وسق بغيره الذى أتى عليه وسألوه أن يدفنها عندهم ثانى فلمـا أصبحوا اجتمعوا اليه فوجدوا فيه غير ما عهدوه بالأمس فقالوا له ان لك لشأنا عظيما • قال نعم رأيت رسول الله وهو يقول لى • رد عليهم أموالهم وأدفنها عندهم فدفنها فى المنزل الذى كانت تسكنه فى محلة كانت تعرف قديما بدرب السباع بالقاهرة ••

* * *

هند أم معاوية

هند .. هى هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس احدى فرائد قريش رأيا وحزما وبعد همة وحسن بيان وأبوها عتبة سيد من سادات قريش وذوى أرادتهم وكانت هند قد تزوجت من حفظى بن المغيرة .. احدى فتيان قريش فعانت من سوء فأحدلها على فراقه ثم قالت لأبيها انى امرأة قد ملكت أمرى فلا تزوجنى رجلا حتى تعرضه على ..

فقال لها ذلك لك ثم قال لها يوما أنه قد خطبك رجلان من قومك ولست مسميا لك واحدا منهما حتى أضعه لك ..

أما الأول ففى الشرف الصميم والحسب الكريم تخالين به هوجا من غفلته وذلك اسجاح من شيمته حسن الصحابة وحسن الاجابة ان تابعته تابعك وأن قلت كان معك تقضين عليه فى مالة وتكتفين برأيك فى ضعفه وأما الآخر ..

ففى الحسب الحسيب والرأى الأريب بدر أروقته وعز عشيرته يؤدب أهله ولا يؤدبونه ان أتبعوه أسهل بهم وان جانبوه توعر بهم شديد الغيرة سريع الطيرة شديد حجاب القبة ان جاع فقير منزور وان تورع غير مقهور قد بينت لك حليها .

قالت أما الأول فسيد مضياع لكريمته قوات لها فيما عسى (ان لم تعرم) أن تلين بعد ابائها وتضيع تحت جنائها، ان حارت له بولدا حمقت وان أنجبت فعين خطأ ما أنجبت .. أطوى ذكر هذا عنى فلا قسمة لى ..

وأما الآخر فبعل الحرة الكريمة انى لاخلاق هذا الواقعة وانى له لموافقة وانى لآخذة بأدب البعل مع لزومى قيتى،وان يكون المدافع عن حريم عشيرته الزائد عن كتيبتها المحامى عن حقيقتها فمن هو ؟ ..

قال أبو سفيان بن حرب قالت فزوجه ولا تلقنى اليـه القاء المتسلسل السلس استخير الله فى السماء يخر لك بعلمه فى القضاء ولما كانت واقعة بدر قتل فيها عتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد بن عتبة فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم وبلغها تسويم الخنساء هودجها فى الموسم رفع العلم فوقه ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية وانها جعلت تشهر الموسم وقد سومت هودجها براية واذهـا تقول : أنا أعظم العرب مصيبة وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك فلما أصيبت هند بما أصيبت وبلغها ذلك قالت أنا أعظم من الخنساء مصيبة وأمرت بهودجها فسوم براية وشـهرت الموسم بعكاظ وكانت سوقا يجتمع فيها العرب فقالت اقربوا جملى بجمل الخنساء ففعلوا فلما ان دنت منها قالت لهـا الخنساء من أنت يا أختاه ؟ ..

قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبه وقد بلغنى انك تعاظمين العرب بمصيبتك فيم تعاظمينهم ..

فقالت الخنساء : بعمرو بن الشريد وصخر ومعاوية ابنى عمرو وبم تعاظمينهم أنت ؟ .. قالت :

بأبى عتبة بن ربيعة وعمى شيبة وأخى الوليد . قالت الخنساء أوسواء هم عندك ؟ ..

ثم أنشأت تقول :

أبكى أبى عمـــرا بعين غـــزيرة
قليل اذا بام الخلى هودجهـــــا
وصخرا ومن ذا قتل صخرا اذا عدا
بشيبة الأبطـــال فينـــا يقـــودها
فذلك يا هنـــــد الدربة ما على
ونيران حرب حين شب وقـــودها

قالت هند تجيبها :

أبكى عميـــد الأبطحن كلبهـــا
وحاميهـــا من كل باغ يريدهـــا
أولئك آل المجـــد من آل غالب
وفى العز فيها حين ينمى عـــديدها

وكان حمزة بن عبد المطلب قد قتل رجال عشيرتها فى بدر

فلما اشتبكت قريش بالمسلمين فى أحد أغرت به من أنقذ فيه حربته حتى اذا صرع حمزة بقرت بطنه وأخرجت كبـــده فمضغتها ثم لفظتها ..

وتلك شر الجاهلية وقد اركتها من ذلك وحمـــة لازمت أبناءها وأحفادها وكان سبيل فعلتها أن أهدر رسول الله دمها على أن الاسلام محا ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وســـــلم ..

فذهبت الى مجلس الرسول مقنعة تبايعه فقالت :

يا رسول الله الحمد لله الذى أظهر الدين الدى أختـــاره لنفسه لتنعنى رحمك .. يا محمد انى امرأة مؤمنة بالله مصدقة برسوله ..

— أنا هند بنت عتبة ..

فتبسم الرسول مرفقا بها مشفقا عليها وقال :

— مرحبا بك يا هند ..

فقالت :

— والله ما كان على الأرض أهل أحب الى أن بذلوا من حياتك ولقد أصبحت وما على الأرض أهل ضيىء أحب الى أن يعيروا من حياتك ..

فصفح النبى عن هند وتقبل توبتها ورجعت هنـــد من عنده الى بيتها عامرة القلب بالايمان ..

ولما اسلمت وعادت الى بيتها وعمدت الى صنم لهـا فانحنت عليه بالقدوم تحطيما حتى تحطم وهى تقول كنا بك فى غرور ومما يؤثر من حيث مروءتها فى جاهليتهـا أنها رغم ما كان بينها وبين رسول الله — لما علمت أهبة زينب بنت الرسول للهجرة ذهبت اليها فى منتصف الليل فقالت يا أبنة محمد بلغنى عزمك على الرحيل فتلجلج لسان زينب بالانكار فقالت هند :

لا تكذبينى فان ما بين الرجال لا نتعداهم الى النساء فان أحوجنك معونة من مال أول عمل فان أولى باسعادت أبنة عمك ..

ولما علمت أن قريشا عرضـوا لزينب فى هجرتها قالت تهجوهم ..

وكانت وفاتها رضى الله عنها فى خلافة عثمان رضى الله عنـــــه ..

* * *

ثبات المؤمنات

لم تكن المرأة المسلمة فى صدر الاسلام أقل ثبات فى دينها من الرجل ولا أقل منه تضحية وبذلا فى سبيل عقيدتها.. بل كانت تضحى من أجل ما تعتقده بكل ما تملك وها هو التاريخ يحدثنا عن نساء مؤمنات أستهن بالموت فى سبيل دينهن وبذلن أرواحهن رخيصة فى الثبات على عقائدهن ..

« والجود بالنفس أقصى غاية الجود » فهذه سمية زوج ياسر ووالدة عمار تضرب لنا أروع مثل فى الثبات على المبدأ.. وتستهن بكل ما أصابها من ظلم وتعذيب وايلام ؟!

حقا لقد تفنن بنو مخزوم فى طرق تعذيبها والتنكيل بها .

فكانوا يخرجونها الى الصحراء اذا اشتدت الظهيرة والتهبت الرمضاء ويطرحونها أرضا ويهيلون عليها الرمال المتقدة ويضعون على صدرها الحجارة الثقال .. بل ويمسون جسمها الطاهر بالنار حينا بعد حين فلم تسمع لها أنة أو شكاة ثم يمر بها النبى عليه الصلاة والسلام وهى على هذه الحال تعذب هى وزوجها وأبنها فيقول : ..

« أبشروا آل ياسر فان موعدكم الجنة » ..

عندئذ ترد سمية وهى ثابتة كالطود مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم بقولها :

« أشهد أنك رسول الله وأشهد أن وعدك الحق » ..

فيزداد حنق المشركين عليها ويشتدون فى تعذيبهــا فلم تهن ولم تضعف ولم تفتر لحظة عن ذكر الله وما ذاك الا لانها تذوقت حلاوة الايمان وتأثرت بذلك الدين القيم تأثرا هان وراءه كل شيء ..

فلم ينل ظلم الظالمين ولا طغيان المشركين من ايمانها أو يوهن عقيدتها ولما يئس الطغاة من أن يسمعوا منها كلمة كفر واحدة طعنها أبو جهل بحربة كانت فى يده ففاضت روحهــا وكانت أو شهيدة فى الاسلام وغير ســمية كثيرات منهن من كان يكوى جسمها ويعبث الأطفال بعينها حتى يذهب بصرها مثل « زنيرة » ومنهن من كانوا يوثقونها بالاغلال ثم يلقونها بين الرمال ولها حر يذيب اللحم ويصهر العظم ..

حتى يقتلها الظمأ مثل « أم شريك » وغيرهن فاعتصمن بالصبر وثبتن على العقيدة ولم تحاول واحدة منهن أن تنقذ نفسها من الموت بذكر وثن من أوثانهم .. اذن فقد عــذب النساء كما عذب الرجال واحتملن ذلك صابرات راضــيات لا يسألن رحمة ولا يفزعن الى حيلة ! ولم ؟؟ ..

لأنهن اقتنعن أنهن على الحق ...

* * *

أم هانىء

نســـاء مجاهدات

فى تاريخ الاسلام نساء .. مجاهدات .. ضربن المثل الأعلى فى الجهاد فى سبيل الله .. وسجل لهن التاريخ أروع المواقف العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فهن مثل للمسلمات المؤمنات ..

من هؤلاء « أم هانىء » التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أم هانىء لقد أجرنا من أجرت وآمنا من آمنت » هى من الذين حدثوا بليلة الاسراء والمعراج فما ذكر حادث « الاسراء والمعــراج » الا وذكر معــه اسم « أم هانىء » ..

هى أيضـــا المثل الأعلى للأمومة .. التى تتفـــانى وتضحى بأغلى شىء فى سبيل أولادها .. اذا .. من تكون « أم هانىء » ..

وما صلتها برسول الله .. هى أبنـــة أبى طالب وأخت الامام على كرم الله وجهه وبنت عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسمها « فاختة » ..

كان يراها رسول الله وهى طفلة فيعجب بها وتتنزل من

قلبه منزلا عليا .. وعندما أصبحت شابة خطبها رسـول الله صلى الله عليه وسلم من عمـــه أبى طالب وخطبها فى نفس الوقت « هبيرة بن وهب » فزوجها والدها من « هبيرة » وتزوج رسول الله من خديجة بنت خويلد ..

كان « هبيرة » من الذين كفروا وضلوا .. بل أمعنوا فى التجافى والقسوة على الدين الجديد .. ولكن « فاختة » أو أم هانىء كانت تحمل من المعزة لابن عمها رسول الله وتقف دائما بجانبه ..

وحدث ذات ليلة أن استضافت رسـول الله عنــدها وكانت هى الليلة التى حدث فيها الحدث العظيم « الاسراء والمعـــراج » ..

فقد قالت أم هانىء ما أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو فى بيتى فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنـــا فلمـا كان قبيل الفجر أيقظنا رسـول الله .. وقال « يا أم هانىء » لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهـــذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت صـلاة النداء معكم الآن كما ترين ..

قالت « يا نبى الله لا تحـدث بهـذا الناس فيكذبوك ويؤذوك » ..

قال : « والله لأحدثنهم » .. أيضـــا هن موقفها ان

« الحارث بن هشام » من الأشخاص الذين أهدر رسول الله دمهم يوم فتح مكة وكان يعلم مكانة (أم هانىء) عند رسول الله فلجأ الى بيتها فأخبرته أم هانىء انهـــا قد أجارته فلم يلتفت اليه لقولها بل شهر سيفه فوثب وقبضت على يديه فلم يستطع « على » أن يرفع قدمه عن الأرض وحاول أن ينفلت منها فلم يقدر ..

وبينمـــا على وأم هانىء فى تجاذبهما دخل عليهمـــا الرسول .. فقالت له .. يا رسول الله ألا ترى أنى قد أجرت الحارث بن هشام فأراد على أن يقتله ..

فقال رسول الله قد أجرنا من أجرت وأمنـــا من أمنت ولا تغضبنى عليه ..

فان الله يغضب لغضبه .. أطلعى عنه .. » ..

فأطلعت أم هانىء عليا فقال النبى الحكيم صلوات الله وسلامه عليه مداعبا ..

« يا على غلبتك امرأة .. » فقال على والله يا رسول الله ما قدرت أن أرفع قدمى من الأرض وكانت هذه شهادة منصفة من فارس الفرسان فى حق أم هانىء ..

ـ أما مثلها الأعلى فى الأمومة فهو عندما أسلمت وفرق الاسلام بينها وبين زوجها « هبيرة » خطبها رسول الله ... ولكن كان رد أم هانىء على رسول الله الكريم عندما خطبها ..

يا رسول الله لأنت أحب الى من سمعى وبصرى وحق الزوج عظيم فأخشى أن أقبلت على « زوجى » وتقصد هنـــا رسول الله •• أن أضيع بعض شأنى وولدى وأن أقبلت على ولدى أن أضيع حق الزوج •• فأدرك النبى صلى الله عليه وسلم بعد ظن أم هانىء ورجاحة عقلها ونضج فكرها ••

وانصرفت أم هانىء الى الاهتمام بامور أبنائها وعاشت رضى الله عنها حتى خلافة أخيها على وفى سنة أربعين للهجرة توفاها الله سبحانه وتعالى •• ودخلت منذ ذلك اليوم فى التاريخ مثلا للمسـلمة المؤمنة ••

* * *

غزالة الحرورية

زوجة القائد البطل المخوف شبيب بن يزيد قائد الخوارج وبطلهم والقائم بالأمر فيهم ..

وهى احدى القادة الذين دوخوا البلاد وروعوا الجيوش وملأوا القلوب أثرا والأفواه خبرا والأرض عبرا ..

وكانت هى وزوجها يليان قيادة الخوارج .. وكان الحجاج بن يوسف سيد العراق وسفاك بنى أمية يستمع خبرهما فيمتلىء قلبه رعبا وهلعا .. وقد حدث أنه خرج فى جنده وكلهم شاكى السلاح مستكمل العدة مرهوب الصولة .. فعرضت له غزالة فى أربعين وهو أربعة آلاف فما لبث أن اختلط عليه الأمر وخلع قلبه الفزع وولى هاربا ..

يخلط فى قوله وهو أعرف الناس بمواطن القول وأرفقهم بأساليب الكلام ولكنه عقل قلبه فعقل لسانه ..

وفى ذلك كتب عمر أن بن حصان الى الحجاج وكان الحجاج قد لج فى طلبه ..

أسد على وفى الحروب نعامة — ربداء تجفل من صفير الصافر
برزت الى غزالة فى الوغى — بل كان قلبك فى جناحى طائر
صدعت غزالة جمعة بعساكر — تركت كتائبه كأمس الدابر
وبلغ من جسارتها وقوة قلبها انها أقسمت لتصلين

مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فى الأولى سورة البقرة وفى الثانية آل عمران •• والكوفة يومئــذ معقــل الحجاج ودار امرته ومجتمع قوته ••

وقد برت غزالة بقسمها ودخلت مســـجد الكوفة هى وزوجها ولبثت تصلى ركعتين [illegible] نصف النهــار ولما أنبىء الحجاج بها تحصن فى قصره واستوثق من رتاج بيته •

وقد رمى الحجاج غزالة بخمســـة جيوش وهى تلتهم التهاما حتى أصبحت طباق العراق ترتجف لأسمها ••

وقتلت غزالة خدعة فى موقعــة الكوفة بين سبيب وبين الحجاج غافلتها فرقة من جند الحجاج من ورائها بينما كانت تخوض فى صـــــدور جنده ومن بعــدها قوض جند سبيب وعفا أثره ••

* * *

زليخا (امرأة العزيز)

قص علينا القرآن الكريم القصص لأحـــداث وقعت فى العصور الغابرة وحوى هذا القصص أخبار نساء كان لهن دور فى حياة أنبياء الله ورسله •• والسيدة زليخا (راعيل) واحدة من هؤلاء النسوة وقد ارتبطت سيرتها بسيرة نبى الله يوسف الصديق ••

وكانت زليخا أحسن نساء زمانها وأكثرهن جمالا وحسنا وكمالا وأدبا ينحدر أصلها الى ملوك مصر الذين حكموا مصر قبل غزو الهكسوس لها ••

كانت زليخا رأت فى نومها انها ستكون ملكة على مصر •• وأن القمر صار تاجا لها ولبسته يوم توليها عرش المملكة فقيل لها أنها ستتزوج بملك مصر ••

وقضى على ذلك أيام وليالى ولم يظهر لمنامها تأثير حتى أنها تزوجت من المتولى لخزائن مصر (وزير الماليـة) وكان يدعى (قطفير) وظنت زليخا أن منامها كان أضـغاث أحلام فصرفت أفكارها عما رأت وأرتضت العيش مع قطفير رغم عدم حبها له ورغم كونه غنيا وبقيت على حالها مع زوجها الى أن ساقت الأقدار الى طريقها يوسف بصفته عبدا جاء به التجار وصارت عليه المزايدة حتى رسا مزاده على قطفير زوجهـا فأخذه اليها وأمرها بأكرامه ••

حبها ليوسف : —

قيل أن يوسف كان يبلغ وقتها السابعة من عمره وكان فائق الجمال فأحبته زليخا وأكرمته وعاملته كأبن لهـا •• وما زالت زليخا فى كل يوم تحسن الى يوسف وتتولى أمره الى أن شب وكبر وبلغ مبلغ الشباب وكبر حبها له وما قلبها اليه•• وتبدل الحب الأموى الى عشق ووجد من جانبها وهو مع ذلك لا يلتفت اليها بعينه حياء من ربه وخوفا من غضبه وبذلت زليخا المستحيل فى اغراء يوسف لعل قلبه يضعف ويستسلم لاغرائها دون جدوى •• وحين لم ينفع التلميح معه اضطرت زليخا الى التصريح واضطرت لعمل الحيلة للوصول لهدفها ••

اتفقت زليخا مع وصيفتا على الايقاع بيوسف وأحكمت الخطة ويحكى لنا القرآن الكريم ما حدث فى أبلغ العبـارات وأدقها بقوله تعالى : ••

« وراودته التى هو فى بيتها وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله أنه ربى أحسن مثواى أنه لا يفلح الظالمون »•

ويواصل القرآن الكريم سرد الأحداث بقول تعالى :

« ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين •• » •

وأراد يوسف الهرب فجرى الى الباب وجـرت زليخا وراءه ولحقت به وجذبته من قميصه فمزقته من ناحية الظهر

وفى ذلك يقول تعالى :

« واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدا الباب » ..

فى تلك اللحظة كان (قطفير) عند الباب فلما نظرت زليخا اليه لطمت وجهها وقالت أيها العزيز هـــذا هو يوسف الذى أتخذناه ولدا دخل يراودنى عى نفسى وفى ذلك يقول القرآن :

« وقالت ما جزاء من أراد بأهلك ســوءا الا أن يسجن او عذاب أليم » ..

يوسف يدافع عن نفسه : —

أثبت الله تعالى دفاع يوسف عن نفسه بقوله :

« قال هى راودتنى عن نفسى » ..

وفى تلك اللحظة حضر ابن عم لزليخــا كان فى القصر وطلب منه يوسف أن يشهد فشهد وقال ما ذكر فى القرآن :

« وشهد شاهد من أهلهــا ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصة قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين .. فلما رأى قميصه قد من دبر قال أنه من كيدهن أن كيدكن عظيم » ..

وطلب الوزير من يوسف أن يكتم هذا الأمر ولا يذكره بعد أن تأكد كذب ادعاء زوجته التى طلب منها أن تستغفر لذنبها كما بين القرآن :

« يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين » ..

أنتشار الخبر فى المدينة : —

وفشا فى المدينة وشاع عن نساء الأكابر خبرها فعاتبنها عليه .. فلما بلغهــا قولهن استدعتهن وكان على رأس من استدعت امرأة الكاتب الأول وامرأة صاحب الخراج وامرأة صاحب الديوان .. وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب .. وأعدت لهن مجلسا وأحضرت لهن وسائد ليتكئن عليها وقدمت لهن البرتقال والتفاح وأعطت لكل واحدة منهن سكينا لتقطع الفاكهة بها ..

وأمرت يوسف بان يخرج اليهن وهن على هذه الحالة .. رفى ذلك قال الله تعالى :

« وقالت نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا أنا لنراها فى ضلال مبين فلمــا سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكئا وأتت كل واحـــدة منهن سكينا وقالت أخرج عليهن .. » .

النساء يجرحن أيديهن دون شعور : —

قال تعالى : « فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم .. قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فأستعصم ولئن لم يفعل

ما أمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين قال رب السجن أحب الى مما يدعونى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين » ..

سجن يوسف :

ذهبت زليخا الى الملك تطلب منه سجن يوسف بعد أن أهانها وسخر منها .. واستطاعت الحصول على ذلك نظرا لما كان لها من دلال عنده فسجن يوسف بضع سنين الى أن خرج من السجن بعد أن فسر رؤيا الفرعون وطلب يوسف من الفرعون أن يستشهد بالنسوة اللائى كانت زليخا قد دعتهن اليها لأثبات برائته فقال الملك لهن : « ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه » .. قلن : حاش لله ما علمنا عليه من سوء .

قالت امرأة العزيز الأن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين .. ذلك ليعلم انى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين وما أبرىء نفسى أن النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى أن ربى غفور رحيم ..

يوسف وزير وزليخا فقيرة : —

أتخذ فرعون مصر (تحتمس) الثالث من الأسرة الثامنة عشرة فى الدولة الحديثة .. يوسف وزيرا له لانقاذها من سنى الجفاف السبع التى كانت ستتعرض لها وكان يوسف لم يصل بعد الى سن الثلاثين .. ولقد أصاب القحط أرض زليخا

ومزارعها وفقدت ثروتها مع من فقــد ومات زوجها وبقيت فقيرة وحيدة وأضطرت لمد يدها سائلة يوسف الاحسان فتعدت له فى طريقه وقالت له : « يا يوسف سبحان من أعز العبيــد بالطاعة وأذل السادة بالمعصية أنا أشهد الا اله الا الله وأنك أنت نبى الله » فأكرمها يوسف ورد عليها أملاكها ..

زليخا تتزوج يوسف :

سأل يوسف زليخا أن ترضى بالزواج منه فحسبت أنه يسخر منها فقد رفضها وهى فى شبابها وجمالها واقبالها فكيف يرضى بها وهى عجوز فقد الجمال وتقدمت بها السن .. لان يوسف أعترف بحبه القديم لها وأعترف انه أمتنع عن الحرام وعن اغضاب الله وأن الماضى لو كان فى الحلال لقبله وها هو الآن يثبت حسن نواياه .. فلم تصدق زليخا اذنها .. وقيل أن فرحة النبأ أعادت لها شبابها وجمالها وأحيت فى قلبهــا الحب القديم ..

فتزوجها يوسف بعد أن أذن الله له بذلك وقيل أنه رزق منها عشرة أولاد ..

* * *

آمنة بنت الشريد

بعـــد مقتل على بن أبى طالب كرم الله وجهـه على يد عبد الرحمن بن ملجم عام ٤٠ هـ شهر معاوية بن أبى سفيان حمة لملاحقة أتباعه فى كل مكان •• وذل على ذلك حتى بعد تنازل الحسن بن على ووفاته مسموما ثم مصرع الحسين مع رجات بيت آل النبى فى كربلاء ••

كان من بين الذين لاحقهم معاوية بن الحمق الخزاعى ولم يجد وسيلة للوصول اليه الا باعتقال زوجته آمنة بنت الشريد وآمنة من فصحاء العـــرب ومن اتباع على مناصريه ادخلها معاوية فى سجن دمشق وحبسها سنتين متواليتين ••

وتمكن عبد الرحمن بن الحكم من الامساك بعمر فقتله وقطع رأسه وأرسله لمعاوية وبينما هى تتقيد فى سجنها وخل عليها رسول معاوية وألقى فى حجرها برأس زوجها فعقــد لســانها ثم بكت ومدت يدها تلمس الرأس قائلة وأحـزناه نفيتموه عنى طويلا وأهديتموه الى قتيلا فأهلا بمن كنت له قالبه وأنا له اليوم غير ناسية ••

ثم رفعت رأسها نحو رسول معاوية وقالت أرجع به الى معاوية وقل له يتم الله ولدك وأوحش منك أهلك ولا غفـــر لك ذنبك ••

وأرسل لها معاوية ليحضرها وقال لها أأنت يا عدوة الله

صاحبة الكلام الذى بلغنى فقالت بحدة وبدون خـوف نعم ولا معتذرة منه ولا منكرة له ولعمرى لقد اجتهدت بالدعاء أن نفع الاجتهاد أن تقع عليك نقمة الرحمن فأعرض عنها معاوية دستاء فنهض ابن أياس وكان حاضرا وقال أقتل هذه .. أقتل هذه .. يا أمير المؤمنين فوالله ما كان زوجها أحق بالقتل منها .

فالتفتت آمنة الى أياس ولما رأته ناتىء الشدقين ثقيل اللسان قالت : تبا لك ووجهك كجثمان الضفدع ثم أنت تدعوه الى قتلى كما قتل زوجى بالأمس أن تريد الا أن تكون جبارا فى الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين فضحك معاوية وقال أخرجى ولا أسمع بك فى الشام قالت فما الشام لى بحبيب ولا أعرج فيها على حميم وما هى لى بوطن ولا أحن فيها الى سكن ولقد عظم فيها دينى وما قرت فيها عينى وما أنا فيهـا اليك بعائدة ..

ولا حيث كنت بحامدة فأشار اليها ببنـانه أن أخرجى فخرجت وهى تقول واعجبى لمعاوية يكف عنى لسانه ويشير الى الخروج ببنانه ذلك والله شديد أوجع من نوافذ الحديد .

ورحلت آمنة ووصلت الى حمص وتوفيت هناك ..

* * *

أم سنان الاسلمية

أورد ابن سعد فى طبقاته الكبرى سيرة أم سنان الاسلمية ضمن ما أورد فى فصل جعله تحت عنوان .. « غرائب نساء العرب المسلمات المهاجرات المبايعات » ولم يعط: ابن سعد أو غيره ممن كتب عن الشخصيات النسائية الاسلامية الأول تفصيلا عن أسمها أو نسبها وأكتفوا بكنيتها أم سنان وصفتها الأسلمية ..

وتأتى أهمية هذه الشخصية فى كونها من الطبيبات المسلمات الأول والمرضات الباسلات اللائى كن يصحبن جيش رسول الله فى معاركه يداوين الجرحى وتمرض المرضى ..

وأم سنان هى واحدة من ثلاثة اسلميات اتحفن بهذه الصفة وشاركن الرسول فى حروبه وخاصة فى معركة خيبر الحاسمة ..

الطبيبات الاسلميات : —

وأم مطاوع الاسلمية هى واحدة من هؤلاء الثلاثة طبيبات الاسلميات ثبت شهودها خيبر مع رسول الله وأسهامه لها سهم رجل .. والثانية هى كعيبة بنت سعد الاسلمية .. التى كانت لها خيمة فى مسجد رسول الله تداوى فيها المرضى والجرحى وهى التى كان عندها سعد بن معاذ حين رمى يوم الخندق وكانت تداوى جراحه حتى مات ... وهى التى

أسهم لها رسول الله أيضا فى خيبر سهم رجل لعظيم جهدها فى المعركة ..

بيعة أم سنان وهجرتها : —

أسلمت أم سنان وبايعت بعد الهجرة .. ومن أحاديثها فى بيعتها قولها : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته على الاسلام فنظر الى يدى .. وكانت أظافرى طويلة .. فقال : ما على أحداكن أن تغير أظفارها » .. ولقد كان رسول الله حريصا على نظافة المسلمين .. وكان دائم التوجيه لهم فى هذا الخصوص .. ودائم التذكرة أن لهم النظافة من الايمان ..

خروجها يوم خيبر :

قالت أم سنان : « لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج الى خيبر جئته فقلت : يا رسول الله أخرج معك فى وجهك هذا أخرز السقاء وأدواى المريض والجريح ان كانت جراح ولا تكون .. وأبصر الرحل فقال رسول الله .. أخرجى على بركة الله فان لك صواحب قد كلمتنى وأذنت لهن من قومك ومن غيرهم فأن شئت فمع قومك وان شئت فمعنا قلت : معك قال فكونى مع أم سلمة زوجتى .. قالت مكثت معها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصطحب معه أحد أزواجه الى كل معركة وكان نصيب زوجه أم سلمة (هند بنت أبى أمية) معركة خيبر ..

روايتها الحديث : —

روت أم سنان الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم •• وروت عنها أبنتها بثينة بنت حنظلة الاسلمية •• كذلك روى عنها عبــد الله بن العبــاس ومن أحاديثها حديث انها كانت تخرج مع رسول الله صـــلى الله عليه وسلم الى الجمعــة والعيـــدين ••

« رحم الله أم سنان فلقد أبلت بلاء أبطال الرجـــال وأشجعهم ••• واعترف لها رسول الله بذلك يوم أن كافأها فأعطاها سهم رجل كغيرها من ســائر الأبطال المحاربين من الرجـــال ••

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

أقدم شكرى لكل من ساهم معى فى اخراج هـذا الكتاب كما أخص بالشكر الأستاذ محمد على أحمد الذى قدم لى أكثر المراجع حتى أهتديت الى اتمام هذا الكتاب وفقنا الله تعالى الى ما فيـه خير الأمة الاسلامية ...

خديجة القماح

سيدتى الكاتبة الاسلامية :

لا شكر على واجب لقد قمت بواجبى نحو المسلمين والاسلام .. وفقك الله لما فيه التوفيق والنجاح ...

محمد على أحمد